وميافارقين هذه مدينة قديمة كان اليونان يدعونها مدينة الشهداء (Martyropolis) وعُرفت عند السريان بميفرقط وكانت اذ ذاك مدينة عامرة بالسكان منيعة ذات ابراج وقلعة . وكان للمعاقبة فيها كرسيّ اسقفي يجلس عليهِ حينئذٍ اغناطيوس ابو غالب . امّا الخلقيدونيون فيها فكانوا قليلين . فلمّا قدم اليها يوحنّا موديانا اخذ يهتمّ بشؤون الملكيين بنشاط حتى زاد بهمّتهِ عدد اتباعهِ . ولا شكّ انهُ ممن انهضوا انصار المجمع الخلقيدوني بعد خمولهم ولعلّ بقايا الروم في بلاد ديار بكر الى يومنا كان سببها الاسقف موديانا المذكور وبعض الذين اقتدوا بمثاله . على ان المؤرخين المعاقبة لم يرووا شيئاً من اخبارهِ في ايام اسقفيّتهِ ولعلهم سكتوا عنها ليغضّوا منهُ كما ان ابن العبري نسب الى خداع اليونان رجوعهُ الى تعاليم المجمع الخلقيدوني (١ لكنّ الموت عاجلهُ فتوفي في مفتتح القرن الثالث عشر ودُفن في كنيسة ميافارقين الملكيّة

نظر

ممّا سبق يلوح للقرّاء (اولًا) ما كانت عليهِ الكنيسة اليعقوبيّة في ذلك العصر وهي في زهوها ومجدها الّا انّ الخاصمات والانشقاقات كانت قد استولت عليها واعدّت انحلالها وهبوطها الذي نشاهدهُ في ايّامنا وليس لها اساس ثابت يجمع كلمتها ويصونها من الفتن والشغب

(ثانيًا) ونرجح كون موديانا لم ينضم الى الملكيّة لاسباب زمنيّة او فرارًا من الدسائس اليعقوبيّة فقط بل علمًا منهُ بصحة المعتقدات الملكيّة وذلك لأنّ هذا الاسقف كان مشهودًا لهُ بالفضل والفضيلة والاداب والعلوم كما اثبت المؤرخون . لاسيما انّ البطريرك ميخائيل ما كان يدّخر وسيلةً ليمنعهُ من الانحياز الى الملكيين او ليسترجعهُ الى مذهبهِ السابق بعد اتباعهم . ولعل المنازعة التي جرت بينهُ وبين اسقف الرها انّما كانت لجدال حدث بينهما في امر الدين والاراء اليعقوبيّة

(ثالثًا) وممّا يستفاد من هذه الترجمة انّ يوحنّا موديانا لمّا اعتنق مذهب الروم وسُقّف على ميافارقين لم يحتج الى تغيير لسانهِ السرياني الى اللسان اليوناني وانّما اقام

١) قال ابن العبري: ܘܟܕ ܐܫܟܚܘܗܝ ܠܗ ܝܘܢܝ̈ܐ ܒܢܝ̈ ܡܠܝܛܝܢܐ ܛܥܝܘܗܝ ܘܫܕܪܘܗܝ ܠܩܘܣܛܢܛܝܢܘܦܘܠܝܣ ܘܗܘܐ ܟܠܩܝܕܘܢܝܐ ܘܝܗܒܘ ܠܗ ܡܝܦܪܩܝܛ. ومعناه: لمّا صادفه اليونان اهل ملطية غرّوه وبعثوا بهِ الى القسطنطينية فصار خلقيدونيًّا واعطوه ميافارقين

الطقوس اليونانيَّة باللغة السريانيَّة وقد اثبت المثلَّث الرحمات السيد اقليميس يوسف داود في كتابهِ النصارى انَّ الروم الملكيّين كانوا يتلون فروضهم الدينيَّة في انحاء شتّى باللغة السريانيَّة

(رابعًا) ومع اشتهار امر موديانا ورجوعهِ عن تعاليم اليعاقبة الى معتقدات المجمع الخلقيدوني لا تجد في كتب مؤلفي الروم احدًا يذكر هذا الارتداد لانَّ الكتبة اليونان قلّما اتسعوا في التاريخ الديني واخبار اساقفتهِ في الجهات البعيدة عن القسطنطينيَّة ففاتتهم امور عديدة لا تجد لها ذكرًا الَّا في مؤرخي السريان

مطبوعات شرقية جديدة

Daremberg, Saglio et Pottier. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 40e Fasc. (PRINCEPS – QUORUM BONORUM). Paris, *Hachette*, 1907.

معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة (القسم الاربعون)

لم يمرَّ على المشرق ستَّة اشهر منذ أعلن (ص ٤٧٢) صدور القسم التاسع والثلاثين من هذا المعجم الخطير الذي افضنا في سعة موادهِ وحسن تنسيقهِ وعلم كتبتهِ ولا غرو لانَّ فصول هذا المعجم لا يكتبها الَّا كبار العلماء ممن يُشار اليهم بالبنان. وفي هذا القسم ابحاث جليلة منها تاريخيَّة ومنها جغرافيَّة ومنها في تعريف خرافات الاولين واساطيرهم فلو اردنا تعدادها لطال بنا الكلام نخص منها بالذكر المقالة المطوَّلة في الاقاليم الرومانيَّة (PROVINCIA) والعاب دلفي اكرامًا لافولون (JEUX PYTHIQUES) ورتبة المجتبي (PROCURATOR) وفي اروقة الهياكل (PROPYLUM). وفي هذا القسم تفاصيل ظريفة عن عادات الرومان مثلًا عن حمَّاماتهم وعن الالعاب المعروفة عند العرب بالبنات (POUPÉES). ومما يهمّ بلادنا الفصل المختص بالارجوان واصلهِ وتاريخهِ واستحضاره من الاصداف المدعوَّة موركس (MUREX) لاسيما في سواحل فينيقية. وكانت الصدفة لا تتضمَّن سوى بعض نُقط من هذا الصبغ يستخرجونها من دودتها بعمل شاقّ فيملّحونها ثمَّ يعرضونها على النار ويغمسون فيها الحرير مدَّة خمس ساعات ويكرّرون

ذلك ليحكموا صبغهُ وكان ثمن الارجوان غاليًا جدًا وكان ارفع قدرًا الصنف الصيداوي تباع منهُ نصف الاقّة الى حدّ ٨٠٠ فرنك من نقودنا . وكان الطلب عليهِ مع ذلك كثيرًا لانّ لون الارجوان كان ثابتًا لا يبور كغيرهِ من الالوان النباتيّة ولذلك كانوا ايضًا يتّخذونهُ ليس فقط للابسهم بل لصبغ جدران بيوتهم وآنيتهم وتماثيلهم ويزيّنون بهِ كتبهم الى غير ذلك من الفوائد التي يعدّدها المسيو بنيه (Besnier) صاحب هذه المقالة . فنشكر اذن المتولّين لنشر هذا المعجم ونتمنّى انجازهُ قريبًا لتعمّ بهِ الفائدة

س . ر

J. Rivière : **Saint Justin et les Apologistes du II^e siècle** XXIX-346, in-16 (Collection *La Pensée Chrétienne*) Paris, Bloud et C^ie, 1907.

القديس يوستينوس والمدافعون عن النصرانيّة في القرن الثاني

لم يكتفِ الكتبة في زماننا اذا ارادوا تسطير حياة احد القديسين ان يدوّنوا فقط اعمالهُ ويسردوا تفاصيل اخباره ويصفوا تآليفهُ بل تراهم يوسعون نطاق ابحاثهم فيجمعون كل ما من شأنهِ ان يعرّف زمان المترجم واحوال عصره وما كان لهُ من النفوذ في معاصريه . وهذا ما ارادهُ صاحب هذا الكتاب فانهُ لم يألُ جهدًا في بيان اعمال القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القرن الثاني للنصرانيّة فاوضح على احسن اسلوب مآثرهُ وصفاتهِ الشخصيّة وشهامة موتهِ في سبيل الايمان . ثمَّ درس درسًا مدقّقًا كتابات القديس واتّسع في خواصّها لاسيما في تاليفهِ الشهير الذي قدمهُ للقياصرة لتزكية النصارى من التُّهم التي كان يقرفهم بها الوثنيون . واتخذ هذا القسم كتوطئة لدرس آخر اعمّ وأفيد فقابل بين دفاع يوستينوس ودفاع اباء عصره عن حقوق الدين المسيحي كططيانوس واثيناغوراس وترتوليان وغيرهم وبيّن ما من الائتلاف بين هؤلاء الكتبة ويوستينوس وما استعاروا منهُ في كتاباتهم وما انفردوا بهِ عنهُ . وفي هذا النظر فوائد لا تُحصى تبيّن احوال النصرانيّة بعد عهد الرسل لمّا ثارت عليها اضطهادات القياصرة والوثنيين . فنشكر صاحب هذا التاليف ونوصي محبّي الدروس الكنسيّة على مطالعتهِ فانهُ يفقهم على كل ماجريات ذلك العهد ويزيل كثيرًا من الامور المستبهمة التي تحول دون معرفة احوال ذلك الزمان السحيق

ل . ش

PERSIA PAST AND PRESENT. A book of travel and research, with more than 200 illustr. and a Map. by **A. V. Williams Jackson**, professor of indo-iranian languages, etc. *New-York, The Macmillan Company — London: Macmillan et Co., ltd.* 1906. in-8, pp. 470.

بلاد العجم سابقًا وحاضرًا

يجمع هذا الكتاب بين الافادة واللذّة فانّ صاحبهُ الاديب المستر جاكسون يتناقل بقرّائهِ من شمالي العجم الى انحاء شيراز ثمّ يتوقّل بهم الى بحر قزبين مارًّا بمدينتي يزد وطوران فيصف تلك الجهات كلها وصفًا حسنًا ويشير الى ما جرى ثمّ في سالف الاعصار من الآثار التاريخيّة مع بيان احوال شعوبها وذكر مبانيها والامور المحكي عنها في الكتاب الكريم وقد اضاف الى ذلك عدّة ملحوظات لغويّة لاسيما في شرح معاني اعلام الامكنة. ومما يزيد هذا التاليف شأنًا ان جناب مؤلفهِ لم يعوّل على ما كتب غيرهُ حتى عاين بنفسهِ ما رُوي لهُ فزار الآثار وقاسها واخذ رسومها فتمكن كذلك من مشاهدة قبر قورش الفاتح والشاعرين الشهيرين حافظ وسعدي وعدّة كتابات قديمة فأصلح قراءتها. ولم يتصل الى بعض هذه الآثار الّا بعد شقّ النفس والاخطار العديدة فمن ذلك الكتابات المسماريّة المثلّثة اللغات في بهستان التي كان قرأها لاوّل مرّة العلّامة رولنسون فانّ المسيو جاكسون بلغ مكانها وصوّرها بالتصوير الشمسي وهو فوق هوّة هائلة متشبّث بالصخور. وقد جازاه الله على ثباته لانهُ اخذ رسوم تلك الكتابات واصلح كثيرًا من اغلاط سلفهِ في عشر صفحات سوف يتلقّاها المستشرقون بالشكر الجزيل. ويلوح لمن يتصفح هذا الكتاب انّ كاتبهُ يعرف تاريخ العجم معرفةً تامّة لا يفوتهُ من احوالهم شيء. فيتبع القارئ رواية رحلتهِ بلا عناء وببهجة متواصلة لكثرة ما يجنيهِ من الفوائد فضلًا عمّا يلقاهُ في الكتاب من التصاوير البديعة — على اننا مع اقرارنا بفضل المؤلف لا نرضى بكل ارائهِ. وخصوصًا لا نسلم لهُ ببعض ما قال عن سفري طوبيا واستير. وليسمح لنا ايضًا جناب المسفار بان نضيف هنا ملحوظًا آخر لغويًا في اصل اسم مدينة اورمية. فانهُ في اثناء كلامهِ (ص٨٧) يزعم بانّ البعض يلفظونها اوروميا او أُروميا او اوروميّة أفليس هذا دليلًا على انّ هذا الاسم حديث أُطلق على مدينة قديمة. وعندنا انهُ لمن الممكن ان اسم اورميا مشتق من لفظة روم او رومي ويقال في التركيّة اوروم ومنها اوروميا او اورميا. وممّا يزيدنا ترجيحًا لهذا

القول انّ هذه المدينة الشهيرة بمولد زرادشت (على قول بعض الكتبة) لم تُعرف بهذا الاسم في الكتاب المسمَّى اوستا وفي التآليف البهلوية · وفي الختام يحسن بنا ان نذكر للقرّاء بانّ المسيو جاكسون افادنا انهُ عاد ثانية الى العجم وتفقد اواسط اسيا وجمع جملةً من الآثار التي قصد نشرها قريباً ل · ر

DAVID ROSS FOTHERINGHAM : The, Chronology of the Old Testament. *Cambridge, D. Bell and C°*, 1906, in-12, 143 pp.

سلسلة تاريخ العهد القديم

هذا الكتاب لاحد دعاة الدين البروتستاني الانكليز ممَّن يجلون الاسفار المقدَّسة ويدافعون عن صحّتها بنشاط عظيم · وهو مع كثرة اشغاله يُعنى بكتابة المقالات الضافية في الابحاث الكتابيَّة · وممَّا وضعهُ آخرًا في اوقات فراغهِ سلسلة تاريخ العهد القديم بناء على ما ورد في الكتاب المقدَّس وحدهُ مع قطع النظر عن التواريخ العالميَّة والاكتشافات العصريَّة الَّا ما رآهُ موافقًا لغايتهِ . ونحن لا ننكر انَّ في الاسفار المقدَّسة معلومات تاريخيَّة عديدة تُساعد على صوغ سلسلة تاريخيَّة متينة لكننا نرى ايضًا انَّ العالم لا يمكنهُ ان يضرب الصفح عن التواريخ المدنيَّة والاكتشافات العصريَّة ليوافق بينها وبين ما رواهُ اصحاب الكتب المنزلة ويعمل فيها عين الانتقاد فيأخذ ما ثبت منها وينبذ ما لم تتقرَّر صحتهُ · وزد على ذلك انَّ اللاهوتيين يسلّمون بوقوع بعض اغلاط في اعداد التاريخ المقدَّس حصلت بسهو النسَّاخ الذين لم يحسنوا قراءة حروف الجمَّل وبعضها كما لا يخفى تتشابه في العبرانيَّة فجعلوا حرفًا بدل حرف مثال ذلك حرف ב الذي يساوي عدد ٢ فانهُ يشبه حرف כ المساوي لعدد ٢٠ وكذلك حرف ד (٤) يشبه حرف ר (٢٠٠) وهلمَّ جرًّا س · ر

P. GREGORIUS DEV O. F. M. I. — **Ethica** seu Ethica Generalis ad mentem Ven. J. Scoti, D. Subtilis. pp. 173 — *Hierosolymis, Typis PP. Franciscalium*, 1906. II. — Jus Naturæ seu Ethica specialis ad mentem ejusdem, pp. 293 — *Ibidem*, 1906.

الفلسفة الادبيَّة للراهب المكرَّم يوحنَّا سكوتس

لنَّ الكتب الفلسفيَّة المستندة الى تعاليم القديس توما الاكويني المدعو بشمس المدارس لا تزال تتوفر وتشيع يومًا بعد يوم في معاهد العلوم · على انَّ الكنيسة تشرفت

بتعاليم غيره من الملافنة الكبار الذين وان لم يبلغوا مبلغهُ نالوا مع ذلك شهرةً عظيمة وتركوا من التآليف ما لا يسع العلماء جهلهُ . فمن جملة هؤلاء المعلمين المكرَّم يوحنا سكوتس الذي لُقب بالمعلم الدقيق النظر (Doctor subtilis) وكان من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة كالقديس بوناونتورا وبعض ائمة اللاهوتيين القدماء . وقد سرَّنا انَّ احد الآباء الفرنسيسيين بنى تعليمهُ الفلسفيَّ على تآليف سكوتس واستخرج من مصنفاته الفلسفيَّة المبادئ الراهنة في الفلسفة الادبيَّة والحقوق الطبيعيَّة جمعها كدستور للتعليم المدارسي . وممَّا نشكر فيهُ فضل المؤلف انَّهُ في كل ابواب كتابهِ لم يَحِدْ مطلقًا عن الآراء المقرَّرة بين العلماء الكاثوليك في الابحاث الاجتماعيَّة سواء كانت عن الافراد او عن العائلة او الدول او السلطة الدينيَّة . وكذلك نوافقهُ (وان كان الامر بعيدًا) في ما كتبهُ عن تحكيم الدول للاحبار الرومانيّين الذين لهم نفوذ ادبي اعظم من نفوذ مؤتمر السلم في لاهاي . وان سمح لنا حضرتهُ أضفنا الى ثنانا بعض ملحوظات لعلها تُفيدهُ في تحسين طبعتهِ الثانية . انَّ بعض فصول هذين الكتابين تحتاج الى توسيع وشرح اطول دفعًا للالتباس وتقريبًا للمعنى . وكذلك تجد بعض اقيستهِ لا تُقنع تمامًا فانَّ نتائج البرهان ليست دائمًا متضمّنة في مقدماتهِ فيستطيع الخصم انكارها ما لم تكن القضايا مرتبطةً بعضها ارتباطًا غير منفصم . وقد وجدنا ايضًا انَّ بعض التحديدات لا تفي بالمقصود والتحديد كما لا يُخفى لا بُدَّ ان يكون جامعًا مانعًا (١

الاب يوسف ديلنسيغر

شذرات

⁂ تنشيط ملكي ⁂ كان حضرة الاب ماريوس شان اليسوعيّ استاذ اللغتين القبطيَّة والحبشيَّة في مكتبنا الشرقي رفع الى جلالة النجاشي منليك الثاني ملك الحبشة نسخةً من كتابهِ الحديث في اصول اللغة الحبشيَّة مع منتخبات من تآليفها ومعجم لالفاظها فتلطف النجاشي وارسل الى المؤلف على يد مكاتبنا الفاضل

(١ مثال ذلك تحديد المؤلف للاحتكار الدولي كما ترى وهو تعريف لا يفيد شيئًا :
Centralismus est systema quo sub ementito nomine boni et progressus nationalis jura civium conculcantur.

عبد الله افندي ميخائيل رعد صيدليّ جلالتهِ هذه الرسالة التي ندوّن اصلها مع ترجمتها الحرفيَّة الى العربيَّة وشعارها الملكي



غلب الاسد
من سبط يهوذا

منيلك ملك ملوك
الحبشة

ሞዓ ፡ አንበሳ ፡ ዘእምነገደ ፡ ይሁዳ ፡ ዳግማዊ ፡ ምኒልክ ፡ ሥዩመ ፡ እግዚአብሔር ፡ ንጉሠ ፡ ነገሥት ፡ ዘኢትዮጵያ ። ይድረስ ፡ ከባ ፡ ማሪዎስ ፡ ሼኔ ፡ ሰላምታዬ ፡ ላንተ ፡ ይሁን ። አትመሕ ፡ የላክህልኝ ፡ መጽሐፍ ፡ ደረሰልኝ ፡ እግዚአብሔር ፡ ይስጥልኝ ። ቃሉም ፡ ደስ ፡ አለኝ ፡ ለስሜ ፡ እንዲደረግ ፡ ስለለመንከኝ ፡ ፈቅጀልሃለሁ ፡ እግዚአብሔር ፡ ይርዳህ ፡ ግንቦት ፡ ፫ ቀን ፡ ፲፰፻፺፱ ዓመተ ፡ ምሕረት ፡ አዲስ ፡ አበባ ፡ ከተማ ፡ ተጻፈ ።

قد غلب الاسد من سبط يهوذا. منيلك الثاني الذي اصطفاهُ الرب ملك ملوك الحبشة . فلتبلغ هذه الرسالة الى الاب ماريوس شان والسلام عليك. انَّ الكتاب الذي صنفتهُ قد أُرسل اليَّ ووردني فجازاك الله خيراً. وهذا التاليف قد سرني جدًّا امَّا ما رغبت فاني بطيب الخاطر احظيك بهِ. ايَّدك الله

كُتب في مدينة اديس ابابا في ٣ من شهر جنبوت في سنة النعمة ١٨٩٩ (١

١) هذا التاريخ يوافق ١١ ايّار من السنة الحاليَّة

تاريخ فقيد الملة المارونيَّة في بيروت ارسل لنا جناب الاديب بولس افندي زين تاريخين للطيب الذكر فقيد الدين والدنيا المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس يسرُّنا ادراجها في صفحات مجلتنا كتذكار مخلد لاعماله الخطيرة وكآية شكر على تنشيطهِ المكرر لكتبة المشرق فالتاريخ الاوَّل هو لوفاة ذلك السيد الجليل :

كرسيُّ بيروت قالت وهي باكيةٌ لقد تيتَّمتُ يا ويحي بفقد ابي
بحر العلوم ارسطو العصر يوسفهُ وآية الله بين العجم والعربِ
شهديُّ خالقٍ واقوالٍ مخلَّدةٍ اثارها النيرُّ في الاسفار والكتبِ
بني لابناء مارونٍ بحكمتهِ مجدًا اذا شاب راسُ الدهر لم يشبِ
كنائسٌ وصروح العلم شاهدةٌ بفضلهِ اخر الايام والحقبِ
ما زال يبني ويبدي من فوائده في شدة المرض المُدني من التربِ
حتى قضى في ضمان الله ترمقهُ عين السعادة وحيًا من ورا الحجبِ
يا رحمة الله غاديهِ مُضاعَفةً وفوق مضجعهِ يا أدمعُ انسكبي
يا خير حبرٍ رأيناه فسنَّ لنا طرق الهدى والندى والبرّ والادبِ
عليك اجمى سلام الله خاتمةً طابت كذكراك في الدنيا فلم تطبِ
لئن تواريتَ عنَّا بائنا ابدًا فحسن تاريخك المنشور لم يغبِ
١٩٨ ٦٢٧ ٧٠ ١٠١٢

اما التاريخ الثاني فهو تاريخ ضريحهِ في الكنيسة الكتدرائيَّة التي شيدها في بيروت وهو :

مضى السيد الدبسيُّ يوسف عصرهِ وخلى فراغًا في الوجود مسوَّفا
فناحت عليهِ الارض شرقًا ومغربًا وذو الدين والدنيا عليهِ تأسَّفا
قضى مالئُ الاسماع قولًا وحكمةً وذكرًا فكم ألقى وأملى وألَّفا
وكم اثرٍ باقٍ لذكراهُ في الورى وبيض ايادٍ ليس تحصى فتوصفا
فذي البيعةُ الغرّاءُ برهان فضلهِ ومهدهُ العلمي عنوانهُ الوفا
كذا فلبكِ مطرانٌ بيروت ارّخوا اماما عظيماً سائدًا مثل يوسفا
سنة ١٩٠٧ م

خارطة بديعة وصفنا سابقًا (المشرق ٣ : ٥٢٥) الهديَّة الثمينة التي اهداها جلالة قيصر روسية لفرنسة سنة ١٩٠٠ اي خارطة بلادها بالحجار الكريمة . واليوم قد افاد البشير بان جلالتهُ امر برسم آخر اجمل وابدع من الاوَّل ليهدية الحكومة الفرنسيَّة وهذا الرسم سوف يمثل المقاطعات الافرنسيَّة الستّ والثمانين بالوانها الطبيعيَّة وتكون اسماء المدن من الذهب الابريز والانهار من البلاتين ويشار الى موقع كل مدينة

بحجر كريم مختلف النوع والحجم. وكلّ هذه الحجارة مستخرجة من معادن روسيّة فتزيد بذلك قيمتها. امّا ثمن هذه الهديّة فيبلغ ٦،٢٥٠،٠٠٠ فرنك

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس داود رمو الكلداني من الموصل عن كتاب مخطوط سنة ١٨١٠ اسمهُ التبر المكنوز لمنفعة الكاروز وجد منهُ نسخة بالكرشوني فطلب ان نفيده عن مؤلفهِ

مؤلف كتاب التبر المكنوز لمنفعة الكاروز

ج قد ذكرنا هذا الكتاب في المشرق (٩: ٦٩٧) وهو لاحد افاضل الكتبة الحلبيين مكرديج الكسيح الارمني الكاثوليكي الذي اشتهر في اواسط القرن الثامن عشر ولهُ من التآليف ما يشهد لفضلهِ واسماؤها مدوّنة في المحل المذكور

س سألنا احد المعلمين في البلدة ما هي شجرة الساج المذكورة في نص القزويني المطبوع في القسم الثالث من نخب الملح (ص ١٠١) وهل تكون من اشجار بلادنا

شجرة الساج

ج الساج شجرة هنديّة يعرفها الفرنج باسم تاك (teck) ويدعوها العلماء (tectona grandis) تُعدّ من الاشجار ذات الخشب الصلب الذي يصلح للبناء ويصبر على الزمان. وهاك وصفها لابن البيطار في مفرداتهِ قال عن الشريف (٣: ٢): «الساج شجر هندي وليس في الشجر ما هو اكبر منهُ خشبهُ اسود وصلب يسمو في الهواء كثيرًا وفروعهُ تسمو وتمتد لهُ ورق كثير وفيما يحكى انّ الشجرة منهُ تظلل خلقًا كثيرًا وخشبهُ لا يتغيّر من القدم»

س وكتب من مصر احد المستفيدين: قرأنا في الجرائد المحليّة انهم اكتشفوا جثة الفرعون منفتاح ابن ستي الكبير وأنّ هذا الملك هو الفرعون الذي يزعم سفر التكوين بانهُ غرق في البحر لمّا تبع بني اسرائيل فكيف التوفيق بين القولين

الفرعون منفتاح وجثتهُ

ج ليس اكتشاف جثة الفرعون منفتاح امرًا حديثًا وقد سبق لنا في المشرق (١: ٨٨١) ذكر هذا الخبر منذ عشر سنوات وبيّنا هناك (١: ٨٩٠) حلّ المشكل في غرقهِ بحرًا فليراجع ل. ش

المشرق

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

لا نزال نطَّلع كل يوم على بعض دفائن الآثار ممَّا صنَّفهُ العرب وبقي محجوبًا منذ اجيال في زوايا المكاتب الى ان يُسعد الحظّ احدَ ارباب البحث فيخرجهُ من مكمنهِ بل يحييهُ بعد موتهِ. ومن هذا القبيل كتاب جليل بل سِفرٌ فريد وقفنا عليهِ في الصيف الاخير عند احد ادباء المدينة ووجوه الطائفة الارثذكسيَّة صاحب الفضل سليم افندي شحادة ترجمان سعادة قنصل روسيًا في الثغر(١). وهذا التاليف عبارة عن مصنَّف مخطوط طولهُ ٢٠ سانتيمترًا في عرض ١٤ س مجلَّد تجليدًا شرقيًا قديمًا بنقوش وذهب مع لسان يضمّهُ منقوش مثلهُ. وصفحات الكتاب ١٥٨ صفحة في كل وجه منهُ ١٧ سطرًا. وهو مكتوب بخط نسخي حسن غاية في الجلاء والوضوح بحبر اسود في المتن واحمر في رؤوس الابواب ويزين كلَّ وجه اطار احمر دقيق ذو خطَّين ناعمين ولا تاريخ للكتاب الَّا انَّ ورقهُ يدلّ على انهُ كُتب منذ نحو ٣٠٠ سنة. امَّا اسمهُ فثبت في صدرهِ هكذا «كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تاليف الامام العالم العلامة ابن بسَّام المحتسب» وتحت هذا العنوان رسم خاتم هذه كتابتهُ «من مواهب ذي الفيض المدرار لعبدهِ محمّد

(١) بينا نحن نسطر هذه المقالة بلغنا نبأ مشؤوم بوفاة صاحب الكتاب فكان لهذا الخبر اسوأ موقع في قلبنا وقد كنَّا نعرف جناب الفقيد ونسرّ بمشاهدتهِ وكلامهِ. وكان رحمهُ الله محبًّا للاداب واسع المعارف حصيف العقل سليم الذوق. وممَّا نشكرهُ لهُ تقديرهُ لمجلتنا التي كان يحرص عليها ويطرئ مقالاتها ويحض اصحابهُ على مطالعتها. وهذه المقالة الحاضرة احدى مآثرهِ اذ تكرَّم واعارنا هذا المخطوط الثمين لنكتب عنهُ ما شئنا

الحسيني ابن العطار خادم الفقه والآثار ١٢٠٠ « وفي اسفل الصفحة بخط احدث ما حرفهُ « دخل بملك الفقير لمولاه الغني حيدر رسلان في شهر رجب سنة ١٢٥٢ صح صح » وليس في اخر الكتاب شيء يفيدنا عن صاحبهِ او عن ناسخهِ

١ في الحسبة والمقصود بها

وكأني بالقارئ يلحُّ علينا كي نعرّفهُ بمضمون هذا الكتاب ليعرف سبب تعظيمنا لهُ . فالجواب انَّ مدارهُ على امرٍ غاية في الخطر لنظام الهيئة الاجتماعيَّة اي الحسبة او رتبة المحتسب . فلا بدَّ من تقديم الكلام عن هذه المهنة قبل تعريف مضامين كتابنا ونقل بعض فصولهِ فنقول : قد افاض قدماء الكتبة في وظيفة الحسبة وتعريف خواصها واتساع نطاقها واختلاف احوالها في ممرّ الاجيال . والحسبة في اللغة قيمة الشيء وقدرهُ وتأتي بمعنى الاحتساب فيقال احتسبَ لهُ اجرًا عند الله اذا اتخذهُ بعمله الصالح فكأنَّ المحتسب هو طالب الاجر بحسن معاملاتهِ . والاحتساب كل مشروع يُفعل لله تعالى حتى قالوا : انَّ القضاء باب من ابواب الاحتساب . ثمَّ ارادوا بالاحتساب معنى محدَّدًا فاطلقوهُ على امور منها اراقة الخمور ومنها كسر المعازف وآلات الملاهي ومنها اصلاح الشوارع . ونجم عن ذلك علم خاصّ يُدعى بعلم الاحتساب يبحث عن الامور الجارية بين اهل البلد من معاملاتهم التى لا يتمُّ التمدُّن بدونها فيجرونهم على القانون والعدل وينهونهم عن المنكر ويأمرونهم بالمعروف ويمنعونهم عن المشاجرات في الاسواق وكانوا خصوصًا يتولّون امر ضبط الاوزان والاسعار وما اشبه ذلك (١ . وقد افرد الماورديّ في كتابهِ الاحكام السلطانيَّة بابًا في بيان احكام الحسبة (اطلب طبعة بُنّ سنة ١٨٥٣ ص ٤٠٤ — ٤٣٢) وها نحن ننقل هنا ما كتبهُ في ذلك ابن خلدون في مقدمتهِ . وكلامهُ حجة في ذلك يغنينا عن الاطالة :

اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعيّن لذلك من يراهُ اهلًا لهُ فيتعيّن فرضهُ عليهِ ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على اهل

١) اطلب تاريخ المماليك للمقريزي (De Quatremère.: *Histoire des Mamlouks,* I, 1,114)

المباني المتداعية للسقوط جدها وازالة ما يُتوقَّع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمهُ على تنازع او استعداء بل لهُ النظر والحكم فيما يصل الى علمهِ من ذلك ويرفع اليهِ وليس لهُ امضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين ولهُ ايضاً حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيهِ سماع بيّنة ولا انفاذ حكم وكأنّها احكام يتنزّه القضاء عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتُدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعُها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء . . .

فخلاصة الكلام انَّ الحسبة في الازمنة الاخيرة صارت تدلُّ على وظيفة اشبه بوظيفة صاحب الشرطة في عهدنا

١ تعريف كتب الحسبة

قد فهمت من الباب السابق ما معنى الحسبة فينبغي الآن ان ننتقل الى وصف الكتب التي وُضعت في هذا العلم وما يترتَّب على صاحبهِ من الاعمال . وهو حقيقةً غرض شريف ما كنّا لنظن انَّ كتبة العرب تفرَّغوا لهُ . فنعرّف اولًا ما كُتب في هذا الموضوع ثم نبيّن خواصّ الكتاب الذي وقع في يدنا

قلنا انَّ اول من يجب مراجعتهُ في امر المخطوطات العربيَّة كتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون للحاج خلفا الشهير وليس تاليف في العربيَّة اوسع واشمل منهُ وقد جاء لهُ في باب النون (ج ٦ ص ٤٠٠ و٤٠١ من طبعة لندن) ذكر كتابين يشبه اسمهما كتابنا بعض الشبه وليسا بهِ كما سترى . فالاوَّل هو «نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي . اولهُ : الحمد لله على نعمهِ الخ . وهو على اربعين بابًا» . امَّا الثاني فلا يختلف اسمهُ عن الكتاب السابق ولعلهُ هو هو كما ارتأى الحاج خلفا نفسهُ فشُبّه عليهِ لاختلاف صورتهِ فقال عنهُ : «نهاية الرغبة في طلب الحسبة للشيخ الامام جلال الدين عبد الرحمان بن نصر التبريزي الشافعي المتوفى سنة (   ) رتبهُ على اربعين بابًا وفي اثنائها فصول . اولهُ : الحمد لله على ما انعم واستعين فيما اكرم الخ . قلت لعلَّ الاوَّل الثاني»

ففي هذا التعريف ما يبين انَّ كتابنا ليس هو الكتاب او الكتابين اللذين وصفهما الحاج خلفا لانهُ يختلف عنهما في اسم المؤلف وعدد الابواب ومفتتح الكتاب . وما يؤيد قولنا انَّ من التاليف الموصوف في كشف الظنون خمس نسخ مخطوطة في مخازن الكتب

الشرقيّة منها نسخة في ڤينّة موصوفة في قائمة مخطوطاتها العربيّة (Flügel: *Die arabischen Handschriften zu Wien*, II, 265) وهي نسخة توافق وصف الحاج خلفا للكتاب الثاني تماماً الّا في عنوانهِ الموافق لنسختنا فدعاه «نهاية الرتبة (ليس الرغبة) في طلب الحسبة». وهذه النسخة قديمة لا تاريخ لها عدَّد صاحب قائمة ڤينَّة ابوابها الاربعين التي اشار اليها الحاج خلفا. ودعا صاحبها بالامام تقيّ الدين عبد الرحمن بن نصر بن محمَّد النبراوي (ليس العدوي او التبريزي كما روى الحاج خلفا).
والنسخة الثانية في مكتبة كليَّة ليبسيك (Vollers: *Katalog der islam. Handschriften zu Leipzig*, p. 193) تشبه نسخة ڤينَّة وهي مخطوطة منذ نحو مئة سنة.
والنسخة الثالثة في خزانة كتب غوتا (Pertsch: *Kat. zu Gotha*, III: 429) هي كالنسختين. وكذلك نسختان مصونتان في المكتبة الخديوية (ج ٦ ص ٢٠٩) فالواحدة منها قديمة تاريخها سنة ٧١١ للهجرة (١٣١١ م) ويدعى مؤلّفها «عبد الرحمن ابن نصر بن عبد الله بن محمَّد الشيزري» فكل هذه النسخ متشابهة في موادّها وتقاسيمها وافتتاحها الّا ما لا يُعبأ بهِ كنسبة المؤلف الذي يُدعى «العدوي والنبراوي والتبريزي والشيزري والشيرازي» وعاش هذا المؤلف في القرن السادس للهجرة بدليل انهُ كتب لصلاح الدين الايوبي ومن تاليفهِ لهُ «كتاب نهج المسلوك في سياسة الملوك» وكانت وفاتهُ سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م)

ومما يشبه كتاب عبد الرحمن بن نصر في خزائن الكتب الاوربيَّة «كتاب معالم القربة في احكام الحسبة» لحمد بن محمَّد بن احمد المعروف بابن الاخوه القرشي الشافعي الاشعري منهُ نسخة في خزانة كتب اكسفرد (Bibl. Bodl., Cod. arab., n° 97) وهو كتاب كبير في سبعين باباً «كُتب برسم خزانة الامير تم بن عبد الله الناظر في الحسبة» يحتوي كل ما تراهُ في كتاب نهاية الرتبة لعبد الرحمن بن نصر وهو اوسع منهُ «ضمنهُ طرفاً من الاخبار وطرَّزهُ بالحكايات والآثار ونبَّه فيهِ على غشّ المبيعات وتدليس ارباب الصناعات» لينتفع بهِ «من استند لمنصب الحسبة وقُلد النظر في مصالح العموم وكشف أحوال السوقة وامور المتعيشين على الوجه المشروع»

وفي مكتبة ڤينَّة (Katalog zu Wien, II, 501) كتاب آخر وهو «كتاب المختار في كشف الاسرار» للامام عبد الرحمن بن ابي بكر الدمشقي المعروف بالجوبري

من كتبة القرن السابع للهجرة وأحد كتبة بني ارتق اصحاب ماردين. جعل كتابهُ في ٣٠ بابًا وضمنهُ قسمًا كبيرًا من حِيَل اهل الصناعات فكشف اسرارهم واظهر شعوذاتهم (١

٣ وصف كتابنا

تلك هي الكتب التي وُضعت في الحسبة فبقي علينا ان نذكر الكتاب الذي حاولنا وصفهُ لنبين خواصهُ

(اسم الكتاب) رأيت ان اسم كتابنا يوافق اسم كتاب عبد الرحمن بن نصر في بعض نسخهِ المخطوطة وان لم يكن ايَّاه كما سيتضح لك

(مؤلفهُ) يُدعى المؤلف في عنوان كتابنا بابن بسَّام المحتسب واسمهُ كما في فاتحة الكتاب محمد بن احمد بن بسام. وليس هو بابن بسَّام الشاعر الاديب صاحب «الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» فانَّ هذا يُدعى ابا الحسن عليًّا وتوفي سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥م) امَّا مصنف كتابنا فلا نعلم من امره شيئًا مع كثرة تنقيبنا عنهُ في تراجم الادباء. وغاية ما نعلم من امره ما يُستخلص من كتابهِ الذي ليس منهُ نسخة ثانية تُعرف. فيقال عنهُ انهُ كان محتسبًا وهذا ما يزيدنا ثقة في كلامهِ عن وظيفة المحتسبين. وتدلُّ ابحاثهُ المتعدّدة على دقة نظرهِ في الامور واختبارهِ لطبائع الناس وبحثهِ عن فنون الصنائع ومكنوناتها وحسن اطلاعهِ على حيل المدلّسين وطلبهِ للادوية الناجعة في ابطالها. وليس في مطاوي الكتاب ما يشير الى اعمال المؤلف الشخصيَّة او الى حادث من حوادث زمانهِ يرشدنا الى معرفة عهدهِ او بلادهِ او مذهبهِ في الاسلام او نسبتهِ فلا يبقى الَّا الاقرار بجهلنا لكل احوالهِ راجين من ارباب العلم ان يسدُّوا الخلل ويفيدونا ما تحيط بهِ معرفتهم ولهم منَّا الشكر سلفًا

(علاقة هذا الكتاب بتأليف عبد الرحمن بن نصر) انَّ بين هذا الكتاب وتأليف عبد الرحمن بن نصر مطابقةً كبيرة وكأنَّ ابن بسَّام اخذ تأليف سلفهِ واضاف

١) اطلب في المجلة الاسيويَّة الفرنسوية مقالةً موسعة في الحسبة ونظارة الشرطة عند العرب مستندًا الى كتابي عبد الرحمن بن نصر وعبد الرحمن الجوبري وصاحبها العلَّامة برنهاور نقل الى الفرنساوية معظم كتاب الاوَّل وزاد عليهِ ملحوظات دقيقة

W : Bernhauer : *Mémoire sur les institutions de Police chez les Arabes,* 1860[1], 460; 1860[2], 114, 347; 1861[1], 5.

اليهِ ابواباً متعددة. فيكون نسج على منوالهِ وبنى على اساسهِ. ومما يزيد قولنا حجةً انَّ ابن بسّام بعد فاتحة كلامه يذكر الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله وينقل قسماً من مقدمتهِ. وكفى بهذا دليلًا على انهُ تعقَّب آثارهُ وحذا حذوهُ

(وصف الكتاب) يفتتح ابن بسّام كتابهُ بما نصهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقنين (?) قال محمد بن احمد بن بسّام المحتسب احمد مَن لهُ الحمد والنعمة منهُ والهداية بهِ والفضل من عندهِ والصلاة على خير خلقهِ وبهِ نستعين. . .

الى ان قال عن غاية تاليفهِ:

وقد رايت المؤلفين من المتقدمين سبقوا الى ذكر كثير ما يحتاج اليهِ وينتفع ولم اجد احدًا منهم ذكر ما ينبغي ذكرهُ من الغبن والفحش والخيانة من الناس في المعاملات والمبايعات والتنبيه على ذلك والتحذير منهُ حتَّى لا يكون ولا شيء منهُ بعون الله تعالى فاحببتُ ان اؤلف كتاباً ادلُّ فيهِ على ما تيسَّر من انواع ذلك رجاء ثواب الله وجعلتهُ ابواباً اذكر في كل باب منها ما يقرّبهُ ويشاكلهُ وبالله التوفيق

ويليهِ ما نبَّهنا اليهِ من مقدَّمة الشيخ عبد الرحمن بن نصر دون ان يقول المؤلف انهُ نقل عنهُ او زاد عليهِ. وعلى رأينا انهُ عاش بعدهُ بزمن قليل اعني في القرن الثالث عشر او الرابع عشر للمسيح والمرجح انهُ كان في مصر .

وفي اثر هذه المقدَّمة فهرس ابواب الكتاب وهي في عدد مئة واربعة عشر باباً وبعض هذه الابواب تُقسم الى فصول. فترى انَّ الزيادات على كتاب عبد الرحمن بن نصر مهمَّة كادت تبلغ ثلاثة اضعافهِ. وهو ايضاً اوسع مادة من كتاب ابن الاخوه «معالم القربة في احكام الحسبة» الذي تبلغ ابوابه السبعين. ولولا خوف الاطالة لبدَّدنا هنا اقسام كتابنا وهذه ابوابهُ الاولى: ١ فيما يجب على المحتسب من امور الحسبة. ٢ في النظر في الاسواق والطرقات. ٣ في الخبَّازين والخبز. ٤ في السقَّائين والماء. ٥ في السوقة وغشهم. ٦ في جزَّازين الضان والمعز وغيرهم. ٧ في الشوَّائين وتدليسهم ٨ في الهرايسيين وغشهم. ٩ في الزلبانيين وغشهم. ١٠ في الروَّاسين وغشهم. ١١ في الطبَّاخين وغشهم الخ. . . فان الكاتب لم ينسَ صناعة من صنائع عصرهِ الَّا ذكر احوال اصحابها وطرائق خدعهم. وفي بعض هذه الابواب ما يتدارك اخطاراً للعموم او يفيد صحتهم او يساعد على ترقية المدنيَّة بينهم كالباب الـ ٧٤ في معلمين الصبيان والباب الـ ٨٠ في حافري القبور والباب الـ ٨٦ في اصلاح الجوامع والمساجد

ومن الامور الاثيرة التي تُرى في هذا الكتاب ما ورد في الابواب ٩١ الى ٩٥ في معرفة الموازين والمكاييل ومثاقيل الذهب والارطال والقناطير والاقساط وفي ضبطها من الشأن والخطر ما لا يُخفى · وبالاجمال نقول انّ هذا التأليف من اجمل آثار القدماء يستحقّ الطبع لتعميم فائدتهِ · وقد وقع فيهِ بعض اغلاط من النسَّاخ يمكن اصلاحها بعد التروّي

وها نحن ندوّن هنا بعض فقرات من ابواب هذا الكتاب الجليل كامثلة تبيّن فضل صاحبهِ وحصافة عقلهِ

(نبذة من الباب الثاني في النظر في الاسواق والطرقات)

ينبغي المحتسب ويُستحَبُّ لهُ ان يجعل لهُ على كل صنعة عريفاً من صالح اهلها خبيراً بصناعتهم بصيراً بغشوشهم وتدليسهم مشهوراً بالثقة والامانة يكون مشرفاً على احوالهم ويطالعهُ باخبارهم وما جُلب الى سوقهم من المتاجر والبضائع وما تستقرّ عليهِ الاسعار وغير ذلك من الاسباب التي يلزم المحتسب معرفتها ليُستمان على كل صنعة بصالح اهلها . ولا يجوز المحتسب ان يسعر بالبضائع على اهلها ولا ان يلزمهم بيعاً بسعر معلوم . . . وانما اذا راى المحتسب احداً قد احتكر الطعام من سائر الاقوات وهو ان يشتري في وقت الغلاء (12ʳ) ويتربّص بهِ ليزداد في ثمنهِ اكثر منهُ بيعهُ اجباراً لانّ الاحتكار حرام والمنع من فعل الحرام واجب . . . ولا يجوز تلقي الركبان وهو ان تقدم قافلة فيلقيهم (كذا) انسان خارج البلد فيخبرهم بكساد ما . منهم ليبتاعهُ منهم رخيصاً . . . فان عثر المحتسب بمن يقصد ذلك عزرهُ وردعهُ عن فعلهِ وينبغي ان يُمنع احمال الحطب والحلفاء واحمال التبن وروايا الماء والرماد وما اشبه ذلك من الدخول الى الاسواق لما فيهِ من الضرر بلباس الناس ويامر اهل الاسواق بكنسها وتنضيفها (وتنظيفها) من الاوساخ وغير ذلك مما يضرُّ بالناس . . . كذلك كل ما فيه اذيَّة واضرار على السالكين كمجاري الاوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف الى وسط الطريق فانهُ يكلّف بسدهِ في الصيف (12ᵛ) ويحفر لهُ في دارهِ حفرة يجمع فيه ولا يجوز التطلع الى الجيران من الاسطحة والنوافذ ولا يجلس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة فمن فعل ذلك عزرهُ المحتسب . . .

(نبذة من الباب الثالث في الخبَّازين)

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ثقة من اهل صناعتهم ويأمرهُ ان يكتب لهُ جريدة باسمائهم وعدّتهم ويُطالَبوا برسومهم في كلّ يوم ولا يساعوا منها بشيء ومتى سُومِحوا منها بشيء كان ذلك سبباً للاضطراب في الاسواق وفساد الاحوال ويتفقدوا ما يغشوا بهِ الاخباز من دقيق الجلبان والفول فانهما يسوّدانهِ وكذلك دقيق الحمّص فانهُ يثقلهُ ويمحه (ويُثجّجهُ) وكذلك دقيق الشعير والسميد (والسميذ) ما يخفا (يخفى) نظرهما (13ʳ) على وجههِ وايضاً في كسرهِ واذا لم

ينضج الخبز أدّب الخبّاز والفرّان جميعاً لانّ الخبّاز اذا امر الفرّان ايتمر ويُطالبوا بنظافة اوعية الماء وتنطينها ونضافة (ونظافة) الماجن وما يُغطّى به الخبز وما يُفرَش تحتهُ ولا يُعجن عجاناً بقدميه ولا بركبتيهِ ولا بمرافقهِ لئلّا تتحدّر اعراق ابدانهم في العجين وفي ذلك ايضاً احتقاراً (احتقار) بالطعام ويكون العجّان متلثماً لئلا يبـدر من بصاقهِ او مخاطهِ من (الى) العجين اذا تكلّم او عطس ولا يعجن الّا وعليهِ مِلْعَبة او ثوب مقطوع الاكمام ويشدّ جبه (جبينهُ) بعصابة بيضاء تمنع عرقهُ ان يقطر ويحلق شعر ذراعيهِ كل قليل. واذا عجن في النهـار فليكن عندهُ من ينش (كذا) عليهِ من الذباب. هذا كلهُ بعد نخل الدقيق بالمنخل الصفيق... (13ᵛ) ويقرّر بيع الخبز بلا غبن ولا حيف على الخبّاز ولا على الرعيَّة ويُؤمروا ألّا يخبزوا خبزاً الى ان يختمر فان غير المختمر يثقل في الميزان ويثقل في المعدة وكذلك اذا كان قليل الملح فانهم يقصدون بذلك ثقلهُ ورزانتهُ (ورزانته) وينبغي ان يرشُّوا على وجهِ الابازير الطيّبة مثل الكمُّون الابيض والاسود والشمر والقرطم وما اشبه ذلك وكذلك في العجين والمصطكا وعرق الكافور والشبة ويعتبر سعر الاوقات ونقصانه وينقش على لوح الخبّازين واوزانها على اطرافها واذا عرض حركة على الخبز امرهم بعـدل وظائفهم كلها خبزاً... (لهُ بقيَّة)

معنى حلب الشهباء

لحضرة الاب انستاس الكرملي

ما معنى «حلب الشهباء». هذا سؤال اذا طرحتـهُ على بعض الكتبة لم يتوقفوا هنيهة من الزمان في تأويلهِ. وللحال يلفّقون لك حكاية عامرة بالشواهد ويطبّقونها اتمّ التطبيق على مزاعمهم حتى تحيّر في إنكارها ان لم يكن لك هنـاك ادلّة تنقض هذا الراي الوَهن. فقد قال اغلبهم: «سُمّيت حلب لان ابراهيم الخليل كان لهُ بقرة شهباء يحلبها على الاكمة فوق مركز المدينة ويطعم الناس فكانوا يقولون: حلبَ الشهباء»

وقال ياقوت: «سمّيت حلب لان ابرهيم عم كان يحلب فيها غنمهُ في الجمعـات ويتصدّق بهِ. فيقول الفقراء. حلَبَ! حلَبَ! فسُمي بهِ. قلتُ انا (يعني ياقوت): وهذا فيهِ نظر لان ابراهيم عم واهل الشـام في ايامهِ لم يكونوا عرباً. انما العربية في ولد ابنهِ اسماعيل عم وقحطان... فان كان لهذه اللفظة اعني حلب اصل في العبرانيَّة او السريانيَّة لجاز ذلك لان كثيراً من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقهُ الّا بعجمة يسيرة كقولهم: كهنّم في جهنّم». وقال قوم: ان حلب وحمص وبرذعة كانوا اخوة من بني عمليق (؟!!)

فبنى كل واحد منهم مدينة فسُمّيت بهِ . . . وبنو عمليق اختلطوا بالعرب ومنهم الزباء فعلى هــذا يصح ان يكونوا اهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربيَّة فيقولون حَلَبَ. اذا حلب ابرهيم غنمهُ » اه.

وقال في شرح المجاني (٧ : ١١٢) « وكان اسمها القديم هلبون وهلبة وبيري ». وقال في دائرة المعارف : واسمها القديم : خاليبون ثمَّ بيريا » . وقــال في معجم البلدان : « بارُوًّا هي حلب » . وقال ابن بطوطة : « قلعــة حلب تُسمَّى الشهباء » اه

قلنا : اقدم اسم ورد لهذه المدينة هو « حَلَب » كما جاء في التنزيل العزيز وكما رُئي مدرجًا في العاديات الاشورية والبابلية والمصريَّة بالصورة المعربة المنونة وهي « حَلَبٌ او حَلَبُونٌ » باشباع حركة الاعراب. واما « هلبون وهلبة » فليسا باقدم من حلب انما هما تصحيفان لهذه اللفظة ليس الَّا . واما « بيري » Beroea او « بيريا » او « باروًّا » فهي لفظة محدثة بالنسبة الى حلب وقد سماها بها سلوقوس نيقاطور بعد ان رمَّم بها بعض الترميات وبنى فيها ابنية جديدة. واما « خاليبون » فهو كتابة χάλυβων اليونانيَّة المنقولة عن « حَلَب او حَلَبُون » الساميَّة ولخلوّ الحاء في لغة اليونان نقلوها بالخاء المعجمة الموجودة عندهم. واما « الشهباء » فهو لقب المدينة على المشهور فان قُيِدت القلعة بهذا الاسم بعد ذلك فهو حديث ايضًا او من باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليه اي ان الاصل في هذا التعبير : قَلْعَة الشَّهْبَاء.

والان نريد ان نعلم ما معنى حلب. ولماذا سميت بهذا الاسم . ثم ما معنى الشهباء على الاصح

نقول : لا جرمَ ان حلب لفظة قديمة سامية الاصل. وقد ثبت اليوم عند العلماء ان جميع الالفاظ الثلاثيَّة السامية هي ثنائية التركيب في بدء الوضع. واصل مادة « ح ل ب » هو « ل ب » وقد أدخلت الحاء وأبدلت من غيرها من حروف الحلق لتأييد معنى « ل ب » والحال ان معنى هذين الحرفين المتجاورين الضخـامةُ والخِصبُ والغلظ والامتلاء ونحوها لان « لبْ » هي حكاية صوت شيءٍ رخصٍ او لدن او ضخم يضرب بشيءٍ مثلهِ. وقد توهم هذه الحكاية اصحابُ جميع الالسنة في وضع هذين الحرفين المجاورين. فاليونان قالوا : λίπος ; λιπάω ; ἀλείφω ومعناها : الشحم او الدهن او كا

جسم دهني ; وضَخُمَ او تصبَّب ماء ; ودَهَن او طلى بسائلٍ ايًّا كان . ومن الغريب ان اليونان تقول : λιπαρής كما تقول العرب « لبيب » بمعنى رجل لازم للامر لا يفتر عنهُ كانهُ قد جعل لبَّهُ وهو قلبهُ يروح ويغدو متردداً اليهِ . وقال اللاتين labium اي الشفة لحكاية وقعها على الشفة الثانية lippus ومعناهُ الارمص لانطباق العينين الواحدة على الاخرى عند تجمُّع وسخها فيحدث من انطباقها حكاية صوت « لب »

ومن ذلك في العربيَّة اللُّبّ وهو القلب لاكتناز عضلاتهِ وهو كذلك في اللغات السامية كالسريانية والعبرانيَّة والكوشيَّة (الاثيوبيَّة) واذا استقريت مادة « ل ب » او « ل ب ب » تحققت ان جميع اللغات السامية فضلًا عن غيرها تؤيد هذا المعنى . ثمَّ اذا ادخلت حرفًا من حروف الحلق على اول هذه المادة (وحروف الحلق هي أ . ح . خ . ع . غ . هـ .) لم يتغير شيء من المعنى الاصلي بل يتأيد ويتقوّى . ومنهُ : أَلَبَتِ الابلُ : « انضمَّت » بعضها الى بعض والقوم « اجتمعوا » والسماء : « دام » مطرها

وحلَبَ القوم : « اجتمعوا » من كل وجه كأَلَب . وحلَبَ الرجل : جلس على ركبتيهِ (كانك تقول تجمَّع) والحليب ما يتجمع من اللبن في ضرع الاناث . والحلبُ : شراب التمر (الذي يُتَّخذ من جمع جواهر التمر بعضهُ على بعض) الخ

وحلَبَ فلانٌ فلانًا : خدعهُ بمنطقهِ ولسانهِ وامال « قلبَهُ » بألطف القول . كانهُ جمع كل شواعرهِ وكل ما في نفسهِ واماها اليهِ . والخِلْب لُحيمة رقيقة تصل بين الاضلاع او الكبد او زيادتها او حجابها او شيء ابيض رقيق لاصق بها . . .

وعلَبَ الشيء : صلُب واشتد وجسأ (ومعنى التجمُّع والاكتناز ظاهر)

وغلب فلان فلانًا : قهرهُ واعتزَّ عليهِ وامتنع (ولا يكون الَّا بعد تجمُّع قوى الغالب على المغلوب) وغَلِب الرجل : « غلُظ » عنقهُ

وهلبت السماء القوم : بلَّتهم بالندى او مطرتهم مطرًا متتابعاً . والفرس (جمع قواه) تابع الجري . والهُلْب : الشعر كلهُ او « ما غلظ » منهُ . . . الى اخر ما يتفرَّع من هذه الاصول

وعليهِ فمعنى مدينة حلب : المدينة الخصبة الارض المكتنزة التراب الدَّسِمَةُ العلكة

واما الشهباء فهو اسم ماخوذ من لون التراب لشهبتهِ كما هو مشهور عن ارض حلب

وقد جاء في اللسان: الشهباء: الارض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر من الشهبة وهي البياض » قلتُ: وقد يكون لون الارض اشهب وتكون الارض مع ذلك خصبةً فاللون من الاعراض. لا اثر لهُ على طبيعة الاراضي. فان كان لاحد رأي غير هذا الراي فليبدهِ ولهُ الفضل العميم. وربك فوق كل علم عليم

الرسالة الزاخريَّة

في امتناع اكل اللحوم للرهبانيَّات الشرقيَّة (تتمَّة)

نشرها حضرة الاب تيموتاوس جق احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

يُعترَض ثالثاً انهُ يتضح من الخبر الذي يورده المؤرخون عن الملكة تاوفاني ان امتناع الرهبان عن اكل اللحوم لم يكن منذ القديم . حيث ان ذلك تمَّ بمشورة هذه الملكة في اواخر الدهر الثامن بمجمع عُقد في القسطنطينيَّة وبهِ منعت الرهبان عن اكل اللحم وهكذا بعد هذا المجمع وُجد رهبان روم شرقيون ياكلون لحماً كما يخبر بذلك الكتبة المسيحيون

فنجيب اولاً عن القسم الاول من هـذا الاعتراض قائلين: انهُ من الخبر المذكور ينتج انهُ كان يوجد في ذلك العهد بعض اديرة من اديرة القسطنطينية ياكل رهبانها لحماً في الاعياد الربية لا غير وبسماح كنائسي لا باطلاق القوانين الرهبانية. مسلّم. انَّ كل الرهبـان كانوا ياكلون لحماً وعلى الاطلاق. منكر. وذلك لاننا قد اوضحنا بما تقدَّم انهُ في جميع الرهبنات الشرقية لم يكن يُعرف اكل اللحم اصلاً ولكن ان كانت توجد بعض قوانين ابويَّة تطلق للرهبان اكل اللحم في الاعيـاد الربية لا غير فذلك لمضادة الاعتقاد المانوي وترع العبادة الباطلة كما ذكرنا فيما تقدم. فوجد في القسطنطينية بعض اديرة ياكل فيها الرهبان لحماً في الاعياد المذكورة . وذلك لا لان القوانين الرهبانية تطلق لهم ذلك بل بسماح تلك الرسوم الكنائسية وفي تلك الايام المعيَّنة لا غير وذلك اذ رأت الملكة العابدة اشتغال البعض من هؤلاء الرهبان في الايام المتقدمة على هذه الاعياد بإعداد اللحوم لم تستحسن ذلك. لكن بمشورتها ارتضت الآباء الذين

كانوا في ذلك العصر ان يمنعوا هذا السماح الذي قد زال سببهُ ليكون جميع الرهبان ممتنعين عن اكل اللحوم مطلقاً حسب القوانين الرهبانيــة والعادة العامة السائكة في جميع الاديرة حتى في اديرة كثيرة من القسطنطينيَّة نفسها كاديرة القديس ثاودوروس الاسطوديتي التي لم يكن يُعرف بها اكل اللحوم ولا يوم عيد الفصح نفسه. كما يوضح ذلك ترتيبهم في المآكل والمشارب المتقدم ذكره منَّا والموجود بتفصيل واسهاب في المقالة السابعة والخمسين من الحاوي الكبير

نجيب ثانياً عن القسم الثاني: انهُ يوجد بعض رهبان روم شرقيين ياكلون لحوماً خفيةً واختلاساً بنوعٍ مخالف للطريقة النسكية العامة لا باشتهارٍ مقبول. مسلَّم. يوجد رهبان ياكلون لحوماً بطريقة مشتهرة مقبولة وحسب قوانينهم النسكية. منكر. ومن المعلوم ان الافعال المخالفــة الشريعة على النوع المذكور اي المفعولة من البعض سرقةً واختلاساً لا تنفي وجود الشريعة ولا تضعف قوة الزامهــا. حتى ولا ان وجد اناس خصوصيُّون في بعض امكنة متطرفة ياكلون شيئاً من اللحوم في بعض ايام ظــاهراً خلاف العادة العامة المشتهرة. وذلك امَّا بمعصية وامَّا بسماح خصوصي فلا اعتبار لذلك. على ان العوائد المنح الخصوصية المحتملة او المقبولة في بعض امكنة لا تبطل الناموس العام. بل تبطل بهِ حينما يلزم ويسلك بالعمل. مع ان هذا الذي نفرضهُ لا وجود لهُ وان وجد في بعض امكنة فلا يوجد عندهم رهبان حقًّا. بل عند من يُدعَون رهباناً مجازًا ولبيان ذلك نقول ان الرهبان الصغار وهم اصحــاب الاسكيم الصغير الذي هو المنتيَّة والبارمنني واللاطية وطغمة الرهبان الكبار وهم اصحاب الاسكيم الكبير التي هو الثوب المختص بهم والكوكوليون والاناالابون فذوو هاتين الطغمتين هم رهبان حقًّا بنذورٍ احتفاليَّة ثابتة يلتزمون من قبلها بحفظ جميع القوانين الرهبانيَّة التي تخصُّ كلًّا من هاتين الطغمتين. اما المدعوُّون رهباناً مجازًا فهم طغمة المبتدئين في السيرة الرهبانيَّة اي الذين يلبسون القبع والثوب العــام لا غير وذلك للتجربة من غير نذور فهؤلاء لا يلتزمون بالقوانين الرهبانية إلَّا في الاديرة المشتركة المعــاش وذلك من وجه الاقتداء والمشاركة. واما خارجاً عن هذه الاديرة وفي العيشة المنفردة كاصحاب القلالي الذين في جبل اثوس المدعو الجبل المقدس فلا يلتزمون بها اي بالقوانين الرهبانية الَّا حينما يحدث من عدم التزامهم شكوك وعثرات للضعفاء واهانة للمذهب الرهباني

فاذ تقرَّر ذلك فنقول ان هؤلاء اعني اصحاب القبع والثوب العام الذين في رتبة المبتدئين يمكن ان يأكلوا لحماً في بعض امكنة على النوع الذي ذكرناه اي في العيشة المنفردة عن الاديرة القانونيَّة التي للرهبان الناذرين وحيثما لا يصدر شكٌ بما انهم ليسوا برهبانٍ حقًا ولا تلزمهم القوانين الرهبانيَّة على النوع المذكور. واما اولئك اي الرهبان حقًا ذوو الاسكيم الرهباني والنذورات فسواء وُجدوا في الاديرة المشتركة المعاش او خارجاً عنها ايضاً فلا يستطيعون ان يأكلوا لحماً ولا يأكلون ايضاً فهذا هو القائم بالعمل والمشتهر عند جميع الاديرة وان اكل احدهم فيأكل اختلاساً اكلاً محرَّماً ممنوعاً من القوانين الرهبانية التي يلتزم بها من قبل نذوره الاحتفالية الظاهرة او من قبل مضمر نذر هذا الامتناع. وهو الذي يلتزم بهِ روساء الكهنة الذين يلبسون الاسكيم الرهباني المقدس قبل الارتقاء الى الرئاسة الكهنوتيَّة ليكونوا رهباناً حقًا وبالتالي يلتزمون بهذا الامتناع حسب العادة القديمة والثابتة الى الان وهذا اعني هذا الاكل الاختلاسي الممنوع من القوانين الرهبانية والعادة القديمة لا يُضعف قوة إلزام هذه القوانين العامة اصلاً كما هو مقرر عند جميع علماء الشريعة والذمة. فصح اذًا انهُ لا احتجاج بقول البعض انهُ في بعض امكنة يوجد رهبان يأكلون لحماً. اذ كان هؤلاء امَّا انهم ليسوا برهبان حقًا ولا في اديرة قانونيَّة مشتركة المعاش. واما انهم يأكلون ذلك اختلاساً اكلاً محرَّماً ممنوعاً كما تقرَّر ذلك واضحاً

فان قيل فما قولك في البعض من الرهبان الروم الشرقيين الذين قد نذروا الرهبانيَّة على القانون الذي اختصره بصاريون من قوانين القديس باسيليوس ظانين انه يبيح لهم اكل اللحوم لسبب ما يذكر في تلك الفريضة التي اوردها المعترض فيما تقدَّم من هذا القانون فهل ان هؤلاء يجوز لهم اكل اللحوم نظرًا الى ذلك ام يلتزمون بالامتناع

فنجيب لا ريب في ان هؤلاء ايضاً يلتزمون بالامتناع عن اكل اللحوم حسب القوانين العامة والمشاعة لكل رهبان الروم الشرقيين. وذلك اولًا لانهُ لا احتجاج لهم بهذا الظن. ثانياً لانهم بما انهم رهبان روم شرقيون نسبةً ومسكناً فيلتزمون بحفظ فرائض القديس باسيليوس العامة التي بها يمتنع الرهبان الروم الشرقيون عن اكل اللحوم

قلت اولًا انهُ لا احتجاج لهم بهذا الظن وذلك اولًا لان تلك الفريضة القانونيَّة لا توجبهُ كما تقدَّم بيان ذلك. حيث انها انما تُطلق بلْ الخبز بمرقة تلك القطعة الصغيرة من

اللحم المقدَّد الموضوعة في مرقة حبوب او سلائق جزيل مقدارها . وذلك لا على الاطلاق ايضاً لكن حيناً وحيناً يقتضي الامتناع عن هذا المأكل الجزيل التقشف بوجود المادة الباطلة وتبلبل العيشة المشتركة فهذا هو ما تُبيحهُ القريضة المذكورة لا غير . لنزع التحفُّظ الباطل والمشكك كثيرين لا ان يأكل الرهبان لحماً على الاطلاق بل ان هذا تنفيه ظاهراً بايضاحها ان الرهبـان يمتنعون عن اكل اللحوم هرباً من اللذة والشبع . ثانياً لان كتاب فرائضهم يشهد لهم شهادة نيّرة بما ينافي هذا الظن المأخوذ باطلاً عن هذه الفريضة حيث انهُ يصرح بان رهبان القديس باسيليوس يمتنعون عن اكل اللحوم حتى يوم عيـد الفصح . ثالثاً لان هـذا الظن لم يحقق عندهم قط حتى لا اقول انهُ لم يترجح بل لم يزالوا على الدوام مشككين وقد اوجبوا على انفسهم هذا الامتنـاع مرات كثيرة لشكهم بجواز الاطلاق

ولنزع كل احتجاج اقول انهُ ولو فرضنا ان الرهبان المذكورين لم يفهموا شيئاً مما ذكرنا بل انما عرفوا ان قانونهم يبيح لهم ذلك ألَّا ان يكونوا قصدوا في حال نذرهم ألَّا يكونوا ملتزمين بهِ اي بهذا الامتنـاع ان ظهر لهم فيما بعد ان قانونهم يوجبهُ ولا يطلق لهم اكل اللحم لانهُ على راي جميع علماء الذمـة ان الغلط في الشروط العرضيَّة الغير المعتبرة لا يعفي من الالتزام بالنذر بما ان النـاذر يرتضي بجوهر النذر ويلزم نفسه بهِ من غير قصدٍ مضادٍ اي من غير ان يقصد عدم الالزام بهِ اذا ما ظهر له اخيراً بخلاف مـا هو ظاهر له في حال النذر وذلك بامر لا يعتبر ولا يختص بالجوهر بل انهم اعني معلّمي الذمة يعلّمون ايضاً ان النذورات الرهبانيَّة التي ينذرهـا الراهب بعد كمال التجربة في رهبنة مثبتة لا يمكن ان تحصل باطلة لاجل اي غلط كان ما عدا الغلط الواقع في نفس الجوهر مثلاً ان بنذر الرهبنة في دير يظنه من رهبنـة القديس انطونيوس ويكون ذلك الدير من رهبنة القديس باسيليوس فهذا الغلط لا غير يعفي من الالتزام بالنذر لا الغلط في بعض شروط عرضيَّة لا تعتبر كاكل الرهبـان الشرقيين لحماً في هذا الجبل المقتضي الصوم اضطراراً لعدم وجود اللحم وتعذُّر حصول الرهبان عليه ألَّا قليلاً فاذا تقرَّر ذلك فلتشهد لنـا ضمائرهم امام الله . هل انهم حينما نذروا الرهبانيَّة قصدوا قصداً خصوصياً حقيقاً ألَّا يمتنعوا عن اكل اللحم ان ظهر لهم فيما بعد ان قانونهم لا يبيح لهم ذلك . فعلى ما اظن انهُ ولا واحد منهم يستطيع ان يقول

هذا بصدق فجميعهم اذًا يلتزمون بهذا الامتناع ولو كانوا قد نذروا غلطًا اي بتصديقهم ان قانونهم لا يمنع ذلك

قلت ثانيًا انهم بما انهم رهبان روم شرقيون نسبةً ومسكنًا يلتزمون بحفظ فرائض القديس باسيليوس النسكيَّة العامَّة التي بها يمتنع الرهبان الروم الشرقيون عن اكل اللحوم. وذلك اولًا لان عدم تمسكهم بهذه الفرائض ومخالفتهم العادة العامة والمشتهرة عند الجميع بأكلهم اللحوم هو امرٌ مشكك ومسبب أسجاسًا كثيرة وهدمًا لكثيرين لانهُ امر مفهوم عند الجميع ان جميع الشرقيين يتقززون من الراهب الآكل لحمًا ويشكون به ويحتسبونه كمنافق وخائن النذور حتى وان كان الان يوجد قليلون جدًا لا يشكون من هذا الامر. وذلك لغلطٍ رديٍّ يلزمهم الارتجاع عنهُ اعني لنكرانهم الصيامات الكنائسيَّة وانقطاع الرهبان عن اللحوم فمع ذلك البقية وهم الكثيرون جدًا يتسجسون ويشكون ويثلبون وينهدمون . والحال ان الرسول الالهي لا يريد ان يأكل لحمًا الى الابد ان كان اكل اللحم يفتن الاخ الضعيف. ثانيًا لانهُ لا اذن لهم ولا سلطة للرؤساء ايضًا لأن يقيموا طريقة جديدة غير مألوفة ولا سالكة بالعمل في هذه البلاد منذ عهد تأسيس الرهبنات الى يومنا هذا كما اوضحنا بما تقدَّم وذلك لان المجمع اللاتراني العام المقدَّس المجتمع من اباء الكنيسة شرقًا وغربًا في عهد البابا اينوشنيوس الثالث يمنع في الفصل الثالث عشر من رسومهِ ظهور طريقة جديدة ويأمر كل من اراد ان يترك العالم ويقصد الرهبانيَّة ان يسلك في أيَّة طريقة اراد من الطرق المقبولة من البيعة والحال ان استعمال هؤلاء الرهبان اللحوم هو اظهار طريقة جديدة في الكنيسة الشرقيَّة التي لم توجد بها قط رهبنة تأكل لحمًا فاستعمال اكل اللحم في رهبنةٍ شرقيَّة ممنوع وبالتالي لا يجوز اصلًا وقولي ولا الرؤساء ايضًا يستطيعون ان يعطوهم هذا الاذن يُفهم بهِ جميع الرؤساء غير الحبر الروماني حيث ان الحبر المذكور وحده يستطيع ان يقيم طريقة جديدة لانهُ وحدهُ الذي يستطيع ان يحل قوانين المجامع العامَّة حينما يقتضي ذلك خير البيعة وبنيانها. ثالثًا لان المجمع الروماني المقدَّس ينهيهم عن مخالفة الطقوس المختصة بالكنيسة الشرقيَّة لاسيما طقوس الصيامات والانقطاعات. بل يأمر هؤلاء الرهبان انفسهم بوجه الخصوص ان يحفظوا هذا الطقس اي طقس الصيامات والانقطاعات عن اكل اللحم وذلك لانهُ بمنشورهِ المقدَّس الذي ورد سنة الف وسبعماية وتسع وعشرين حيث

يرد جواباً عن طلبة هولاء الرهبان الاولى وهي ان يجيوا ويتّحدوا مع رهبنة الرهبان الباسيليين الذين في رومية ويكونوا خاضعين لرئيس هذه الرهبنة العام الى مدّة . يقول هكذا : « فليسمع هذه الطلبة رئيس هذه الرهبنة العام (اي رئيس رهبنة الرهبان الباسيليين اللاتينيين) . امّا هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » فكأنهُ يقول انهُ من جهة اشتراكهم مع الرهبان المذكورين فليعرض ذلك على رئيس هذه الرهبنة العام . اما هم ولو قبلوا بشركة هذه الرهبنة فيلزمهم من جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم ان يحفظوا بالكمال الطقس والقانون اي طقس الصيامات والانقطاع عن اللحم حسب عادة الرهبان الشرقيين جميعهم

الّا ان البعض يقول ان كلام المجمع المقدس المقدم ايراده يقبل غير هذا التأويل فيفهم بمعنى مضادّ للمعنى المتقدم وذلك لانهُ يفهم بالطقس والقانون من قوله « فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » لا طقس رهبان الروم الشرقيين وقانونهم المانع اكل اللحوم بل طقس الرهبان الباسيليين اللاتينيين وقانونهم . والحال ان هذا القانون يبيح اكل اللحم فاذًا يجوز لهؤلاء الرهبان ان يأكلوا ذلك كما اطلق لهم المجمع المقدّس

فعلى هذا القول نجيب اولًا قائلين انا قد اوضحنا بما تقدّم ان قانون هذه الرهبنة الذي جمعهُ والفهُ يصاريون من رسوم القديس باسيليوس لا يبيح اكل اللحوم اصلًا حتى ان الرهبان الباسيليين المتمسكين بهذا القانون لم يكونوا يذوقون اللحم اصلًا كما يشهد كتاب فرائضهم وانّ اكلهم الان اللحم ليس هو من قبل القانون بل من قبل عادة بلادهم وسماحٍ خصوصي فهذا جميعه قد تقدم تقريره بكفاية . فاذًا ولو سلمنا هذا التأويل الذي يراه البعض صحيحًا لما نتج منهُ انهُ يجوز لهؤلاء الرهبان ان ياكلوا لحمًا بل لان يمتنعوا عن ذلك ان كان المجمع المقدس على رأي اصحاب هذا التاويل يلزمهم بحفظ هذا القانون بالكمال . والحال ان هذا القانون لا يبيح اكل اللحوم . بل كان المتمسكون بهِ من اللاتينيين انفسهم يمتنعون عن ذلك فاذًا لا يجوز لهؤلاء الرهبان ان ياكلوا لحمًا ان راموا حسب وصية المجمع ان يحفظوا هذا القانون بالكمال والتدقيق

ولكن لان هذا التاويل باطل بالكليّة فنجيب ثانيًا قائلين بئس التاويل الذي لا

يوافق قصد المتكلم وغرضهُ ولا حرف الكلام ونوعهُ ولا القراين المتفقة مع ذلك النوع لكن يوافق قصد المجمع المقدَّس ولا الغاية التي لاجلها ارسل هذا المنشور. لانهُ لا ريب ولا شك في انَّ قصد المجمع المقدَّس في هذا المنشور والغاية التي لاجلها ارسلهُ هي ان يحفظ طقس الكنيسة الشرقيَّة وعوائدها المحدودة المقبولة والَّا يدخل تغييراً جديداً مسبباً شكوكاً وانقساماً كما يصرّح بذلك ظاهراً بمنشوره. فكيف يصدَّق انه بهذا المنشور نفسهِ عينهِ امرَ بما يضاد قصده هذا وهو ان يغير هؤلاء الرهبان طقس الرهبنة العام والمشاع لجميع الرهبان الروم الشرقيين بادخال تغيير مضاد ومنشئ شكوكاً وسجساً وانقساماً. فهل يصدق عاقل هذا الامر وهو ان المجمع المقدس يامر بشيءٍ وينفيهِ في منشور واحد مرسل لغاية واحدة كلَّا فلا يمكن اذاً صدق هذا التاويل بما انه مضاد لقصد المجمع المقدس مضادة صريحة

ثانياً هذا التاويل لا يوافق الحرف ونوع التكلم وذلك لان المجمع المقدَّس بعد قولهِ « فليسمع هذه الطلبة رئيس تلك الرهبنة العام » يستتلي بنوع الاستدراك قائلاً: « امَّا هم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » فنحن نسأل هنا لماذا يتكلم المجمع هنا بنوع الاستدراك الذي هو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوتهُ او نفيهُ. فهل ان المجمع المقدس خشي من ثبوت هذا الامر . اي خشي من هؤلاء الرهبان اذا اشتركوا مع الرهبان الباسيليين اللاتينيين بدخولهم تحت طاعة رئيسهم الى مدة لا غير. لا ياكلون لحماً حسب عادة اولئك بل يثبتون ايضاً بموجب امره على التمسُّك بالصيامات والانقطاع عن اكل اللحم حسب طريقة الرهبان الشرقيين العامة وطقسهم القديم فيحدث عن ذلك شكوك وسجس وخراب جزيل في هذه البلاد. فلذلك امرهم ان يحفظوا طقس اولئك الرهبان اللاتينيين بطرح الصيامات وبعدم الامتناع عن اكل اللحم والَّا يعتبروا امره بحفظ الطقوس والعوائد اصلاً لكي لا تحدث مثل هذه الشرور. وهل انهُ خاف ايضاً من انهم اعني هولاء الرهبان اذا اكلوا لحماً بحسب طقس اولئك وقانونهم لا يفعلون ذلك بالكمال فتفسد عبادتهم ولا تكون مرضية لله فلذلك قال مدققاً بالكمال. اليس ان هذه الظنَّات خرافات لا يراها ذو صواب . فالمجمع المقدس اذا لم يقصد بهذا النوع من التكلم رفع ما يتوهم نفيهُ اي يقصد ازالة توهم نفي الصيامات وعدم الالتزام بالانقطاع عن اكل اللحم الذي يمكن ان يحدث من قبل هذه الشركة مشير

الى انهُ وان قبل ذلك الرئيس العام ان يشترك هؤلاء الرهبان بشركة رهبنتهِ الى مدة فلا يجب لذلك ان يطرحوا عنهم الالتزام بالطقس والقانون العام المشاع لجميع الرهبان الشرقيين بل يحفظوا ذلك بالكمال

ثالثًا التاويل المقدَّم ذكره لا يوافق القرينة حيث ان المجمع المقدَّس لم يقل مطلقًا « امَّا هم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . بل قيَّد ذلك بقولهِ « من جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم » فهو اذا يأمرهم بحفظ الطقس والقانون من هذه الجهة المعينة وهذا يستلزم ضرورة ألَّا يكون هذا القانون منافيًا هذه الجهة اي منافيًا حفظ الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل موجبها لأنه لا يمكن ان يأمر احدًا بحفظ شيء منافٍ لما من جهتهِ ونظرًا اليهِ يريد حفظ ذلك الشيء . فلا يقال مثلًا : انه من جهة الفقر وعدم الاقتناء يجب ان تحفظ بالكمال طريقة المتحولين المحتشدين او من جهة حفظ البتولية وعدم معرفة النساء يجب ان تحفظ عادة المتزوجين فلا يُقال ذلك البتة وذلك لاجل المنافاة الموجودة فيما بين الشيء المأمور بحفظهِ وبين الذي من جهتهِ ونظرًا لوجوب حفظ ذلك الشيء . فهكذا اذًا لا يمكن ان يقول المجمع المقدَّس : « اما هؤلاء الرهبان فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال طقس الرهبان الباسيليين اللاتينيين وقانونهم حيث ان طقس هؤلاء الرهبان وقانونهم ينافي الصيامات والانقطاع عن اللحم » وبالتالي لا يمكن على حسب نوع التكلم ان يؤمر بحفظهِ نظرًا الى الصيامات والانقطاع المذكور ولو يقصد المجمع ذلك لمَا كان ذكر الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل كان ذكر ما يضادّ ذلك قائلًا هكذا : « امَّا هم فمن جهة اكل اللحم وعدم الالتزام بالصيامات فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . او قلما يكون كان قال هكذا : « امَّا من جهة الاكل . . . الخ » على انه لو يقول هكذا لكان يمكن ايضًا احتمال هذا التأويل والحال انهُ لم يقل هكذا بل قال : « امَّا هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . فلا يريد اذًا بالطقس والقانون طقسًا وقانونًا منافيين الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل طقسًا وقانونًا موجبين ذلك وهما طقس الرهبان الشرقيين وقانونهم

ولكي نوضح بزيادة حقيقية مفهومية هذا النوع من التكلم فلنورد امثلة تطابق بكمال المطابقة عبارة المجمع المقدس ولنبصر كيف يجب ان نفهم من كل ذي

تصور . فنقول : لو قال احد « انهُ يجب على العالمين ان يقبلوا بكل كرامة الرهبان الذين يعظونهم ويرشدونهم الى الخلاص امَّا هم (نعني الرهبان) فمن جهة الصيامات وبقية الرياضات النسكية فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » فهل كان يمكن ان يفهم بالطقس والقانون من هذا القول طقس العالمين وقانونهم . كلَّا . بل انما يفهم طقس اولئك الرهبان وقانونهم المستلزم الصيامات والرياضات النسكية . وهكذا لو قيل « انهُ يجب على الرهبان الفرنسيسكانيين ان يقبلوا في اديرتهم الرهبان الكرمليين فمن جهة الانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون فهل كان يفهم بهذا الطقس والقانون طقس الرهبان الفرنسيسكانيين وقانونهم المبيح اكل اللحم ام طقس الرهبان الكرمليين وقانونهم الذي يمنع عن ذلك . هكذا ايضاً لو طلب من المجمع المقدس بعض الافرنج الذي يعيشون في هذه البلاد ان يسمح لهم بان يشتركوا مع الشرقيين في تعييد الفصح على الحساب العتيق . فقال المجمع المقدس في جوابهم هكذا فليسمع هذه الطلبة قدس سيدنا البابا امَّا هم فمن جهة تناول القربان المقدس بشكل الفطير لا غير والانقطاع عن اللحم يومي الجمعة والسبت فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون فهل كان يقول احد ان المجمع يريد بالطقس والقانون طقس الشرقيين وقانونهم في تناول الاسرار وعدم صوم السبوت لا طقس الغربيين وقانونهم ام ان كل من لهُ ادنى تصوُّر يقول ان المجمع المقدس يريد انهُ اذا ما رضي الحبر الاعظم طلبتهم يجب ان يحفظوا طقسهم وقانونهم من جهة تناول الاسرار وصوم يومي الجمعة والسبت لا طقس الشرقيين بهذه الامور فهكذا بصدق القياس التمثيلي نقول انهُ لا يمكن ان يفهم بقول المجمع المقدس « الطقس والقانون » طقس الرهبان الباسيليين وقانونهم الذي يقال انهُ يبيح اكل اللحوم بل طقس الرهبان الروم الشرقيين المستلزم الصيامات والانقطاع عن اللحوم فالمجمع المقدس اذاً يريد انهُ اذا رضي رئيس رهبنة الباسيليين بقبول طلبة هؤلاء الرهبان ألَّا يغيروا طقسهم من جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل ان يحفظوا هذا الطقس بالكمال والتدقيق

ولذلك المجمع الروماني المقدس اذ رسم ان يتحد الرهبان المنتمون الى دير ماري يوحنا الشوير والرهبان المنتسبون الى دير المخلص برهبنة واحدة امر ان يؤسسوا اتحادهم على حفظ قوانين القديس باسيليوس العامة المشاعة لجميع الرهبان الروم

الشرقيين وبالتالي لا على القانون المؤلف من هذه القوانين المختص بالرهبان الباسيليين الغربيين وذلك لكي لا يدخل تغيير جديد مخالف طريقة الرهبان الشرقيين العامة المأخوذة عن قوانين هذا القديس

فصح اذًا بكل ما اوردناه: اولًا ان عادة الرهبان الشرقيين بالامتناع عن اكل اللحوم هي عادة قديمة مساوية بالقدمية لوجود الرهبنة في هذه البلاد. ثانيًا ان القديس باسيليوس لم يحلّ هذه العادة ولم يطلق اكل اللحم اصلًا بل اوجب الامتناع عنهُ بامكنة كثيرة من اقواله. ثالثًا ان الفريضة التي يعترض بها البعض من فرائض هذا القديس لا تبيح اكل اللحم بل تطلق استعمال ذلك النوع المذكور من المآكل الجزيل التقشف حيثما كان يقتضي ذلك ترع العبادة الباطلة والشك بوجودها. رابعًا ان الرهبان الذين نذروا على القانون المختصر والمؤلف من نسكيات القديس باسيليوس عن الكردينال بيصاريون للرهبان الباسيليين الغربيين. يلتزمون ايضًا بالامتناع عن اكل اللحوم ولو ظنوا سابقًا ان قانونهم يبيح لهم ذلك. خامسًا واخيرًا ان كلام المجمع المقدس نحو هؤلاء الرهبان حيث يقول. امَّا هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون انما يُراد بهِ ان يحفظ الرهبان المشار اليهم طقس الصيامات وقانون الانقطاع عن أكل اللحم المشاع لجميع الرهبان الشرقيين

ولكن هذا كافيًا لحل هذا المشكل اي لبيان وجوب امتناع الرهبان الشرقيين كافةً عن اكل اللحوم. ولعمري انهُ كان يكفي لبيان وجوب هذا الامر الشكوك العظيمة التي تحدث عن هذا الاكل الممنوع على انهُ ١): « شرٌّ للانسان ان يأكل بعثرةٍ ويهلك بطعامهِ الاخ الضعيف الذي من اجلهِ مات المسيح ». وقد يلزم الرهبان بالخصوص ان ٢): « يُظهروا ذواتهم كأنهم خدام الله بصبرٍ طويلٍ بالاتعاب والاسهار والاصوام والعفاف » موضحين بنموذجهم للجميع ان ٣): « ملكوت الله ليس هو طعامًا وشرابًا لكن برٌّ وسلامة وفرح بالروح القدس » لان الذي ٤): « يخدم المسيح بهذه يكون لله مرضيًا وعند الناس خيرًا »

١) رومية ف١٤ عد ٢٠

٢) قرنتية اولى ف ٨ عد ١١

٣) " ثانية ف ٦ عد ٤ و٥ ٤) رومية ف ١٤ عد ١٧ و١٨

فهذا هو رأيي انا الفقير عبدالله زاخر مؤلف هذه الرسالة وها انا اثبتهُ بامضائي وخط يدي واقدمهُ لمن ينكرهُ عليَّ ويُعلِم خلافهُ ليدحضهُ إن لم يره صحيحاً ولكن بشرط ان يكتب لي ذلك بخط يدهِ او امضائهِ وعن لسانهِ لا عن لسان غيرهِ وذلك بضميرٍ مستقيم وعقلٍ ناظرٍ الى حق فقط والحمدُ لله وحدهُ

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي

توطئة

الفنون الجميلة كما اصطلح عليها الاقدمون هي التي اتخذها البشر لزينة العقل خصوصاً وكانوا يفرزونها عن الفنون الصناعيَّة التي مرجعها غالباً الى الاعمال اليدوية والى المهن والحرف المادية. وكذلك كانوا يفرقون بينها وبين الفنون العلميَّة التي تختصّ بالنظريات كالفلسفة والرياضيَّات. وقد جعلوا الفنون الجميلة سبعة عدًّا: الخطابة او البلاغة ثمَّ الشعر ثمَّ الرسم او التصوير ثمَّ النقش او نحت التماثيل ثمَّ البناء ثمَّ الموسيقى ثمَّ الرقص او الحركات المنتظمة. وعلى هذه الفنون السبعة بنى حضرة المنسنيور جرجس شلحت مقالتهُ الشعرية مفرداً لكل بابٍ عدداً من الابيات الرائقة ليثبت ما للدين عليها من الحقوق وما بينهُ وبينها من الوفاق. وهذه القصيدة من بعض فصول كتابهِ «النجوى» الذي طبعت منهُ مقدمتهُ فقط سنة ١٩٠٣. وهي طويلة اقتصرنا منها على ما ترى بياناً لفضل صاحبها ل. ش

مشهد الطبيعة

الدِّينُ والعلمُ مع الصِّناعهْ ثالوثُ ارضٍ شرعهُ الإطاعهْ
أمامَ ثالوثِ السَّماء يسجدُ وباتِّفاقِ الرَّأيِ كانَ يَعبُدُ
فالدِّينُ رامَ الخيرَ والصلاحا والعلمُ للحقِّ بغى إيضاحا
ومقصِدُ الصناعةِ الجمالُ في كلِّ فنٍّ سحرهُ حلالُ
وما الجمالُ غيرُ مَجلى الحقِّ والخيرِ والنظامِ بينَ الخلقِ (١

١) اطلب فصل «تعريف الحسن» الذي نشرتهُ في السنة الثانية من مجلة الضياء عام ١٩٠٠

فالعلمُ فهمُ خلقةِ الالـهِ بالرَّغم من معطِّلٍ تيَّاهِ
وما الصِناعةُ سوى تمثيلها لعَيْنِ مَن يرغبُ في تخيلها
لذا الفنونُ صدرتْ عن مشهدِ جمالِ صنعِ الباري المجَّدِ
فالكونُ يبـدو للورى بديعًا ويُبهج النـاظرَ والسميعًا
لا يحسدُ الصماخُ فيهِ الطَّرْفا فالاذنُ ايضًا فيهِ تُلفي ظَرْفا
مِن جامـدٍ ومائعٍ ورائقِ ونابتٍ وصـامتٍ وناطقِ
ونافحٍ وفائحٍ وسـاجمِ وسابحٍ وصادحٍ وباغمِ
وباسقٍ وسـامقٍ وزاهرِ وبارقٍ وشـارقٍ وباهرِ
محاسنٌ ملـكَتِ المشاعرَا وراحَ منها كلُّ عقلٍ حائرَا
عن وصفها تُعجزُ هذا الشاعرا ان كان فيـهِ ناظمًا او ناثرا
ان شئتَ ان تجدها مجموعهْ في مظهرٍ منظورةً مسموعهْ
في مظهرٍ يخطفُ مِنك البصرَا والسمعَ بل يسلبُ منك الفِكَرَا
فعُجْ ولِجْ كنيسةً وأَجِلِ قداحَ طرفٍ في بهاءِ الهيكلِ
وعِ اناشيـدَ الصلوة وكُنِ مُراعيَ السمعِ لوقعِ الارغنِ

البناء

كلُّ الفنونِ مظهرِ الجمالِ وغـايةِ التمامِ والكمالِ
تنظرها بغير مـا جدالِ في معبدٍ من الطراز العالي
حتى يرُدَّ الطَّرف في كلالِ عنهُ ويُلقى الذهنُ في انذهالِ
في معبـدٍ لله ذي الجلالِ كم تلتقي للحسن من مجالِ
في معبـدٍ لربكَ القدوسِ مشيَّدٍ للحمد والتقديسِ
محاسنُ الطبيعةِ المنوَّعهْ تجدهـا بأسرها مجمَّعهْ

في الكونِ تلقى ذلك الرَّقيعا ... بهِ النجومُ رُصّعت ترصيعا
ان هُوَ الّا القبَّةُ الزرقاءُ ... تزينها الكواكبُ الزهراءُ
ورمزها القبَّة في الكنيسهْ ... مزدانةٌ بدُررٍ نفيسهْ
بحسنها حاكت دراري الخضرا ... والدُرَرُ الغرُّ دراري الغبرا
فنُّ البناء يا لهُ من فنِّ ... آدمُ قد ألهمهُ في عدنِ
ترى بهِ مذابحَ المسيحِ ... كأنها الجنّة في الصحيحِ
فنُّ البناء مطمحُ المؤمِّلِ ... وغاية الفنِّ ترى في اهيكلِ
فنُّ البناء اوَّل الفنونِ ... قد كان مأوى آدمَ المسكينِ
من بعد أن طردهُ العليُّ ... حاكى الجنانَ جدُّنا الشقيُّ
في سفح طورٍ انشأ الرياضا ... وسبَّحَ المهيمنَ الفيّاضا
فالكونُ كان معبدًا عظيما ... والطورُ كان مسجدًا فخيما
في كهفهِ كان المبيت الاوَّلُ ... ثمَّ ابتغاء النفع شِيدَ المنزلُ
وفيهِ ربّي عبدَ الخلائقْ ... بل نوحُ شادَ معبدًا للخالقْ
وقد مشى النسل على آثارهِ ... وطبعوا حينًا على غِرارهِ
فرفعوا هياكلَ العبادهْ ... في غاية الاتقان والإجادهْ
الى زمانٍ مرَّ بعد الصرحِ ... والشعرُ قد يأبى طويل الشرحِ
الى زمانٍ فيهِ عينُ المرءِ ... زنَت بما خطفها من مرئي
فشيَّدوا الهياكل الانيقهْ ... ليعبدوا الاهواء في الحقيقهْ
حاشا سليمانَ مقيمِ الهيكلِ ... للواحدِ الكائنِ منذُ الازلِ
من ولدِ يعقوب الحطِّينَ الألى ... خصَّهمُ المولى بأسرار الولا
عَبدةُ الاصنامِ ضلّت شاردهْ ... وعن صراط الحقّ ظلّت حائدهْ

حتّى اتى مخلّصُ الخليقهْ ... لِيُصلح النُّهيةَ والخليقهْ
فحازت الكنيسةُ المقدّسهْ ... فتحاً جديداً في سبيل الهندسهْ
هندسةٌ سنيعةٌ سنيّهْ ... تبقى بقاءَ دهرنا غنيّهْ
نظامُها الهندام في البنيان ... كأنهُ الإيقاعُ في الآذانِ
وشرعُها تُناسُبُ الاجزاء ... كأنهُ تُناسُبُ الاعضاء
ذي وحدةٌ تقوم في التنوّعِ ... مبدأُ حسنٍ كلِّ كونٍ مُبدَعِ
بل «مبدأُ الجمال (١)» ذاتُ الوحدهْ ... يذكرها الكافر عند الشدّهْ
وهيَ «إلهُ العلمِ ٢» والمعارفْ ... تسير في ظلِّ هُداها الوارفْ
وهي التي لم تشإ انفرادا ... فانشأتْ عالَمنا ايجادا
في كونها محمودةَ الصُّنعِ وفي ... معبدها بحمدها الخلقُ تقي

النقاشة

لكنّهُ الكونُ يصيرُ خاويا ... ان كان يوماً من دُماه خاليا
تلك نباتٌ لا جمادٌ هامدْ ... فيهِ حياةٌ حارَ منها الجاحدْ
وحيوانٌ بيّنٌ فيهِ الاخا ... والحسُّ فصلٌ فارقٌ عنهُ الأخا
وبشرٌ بنفسهِ يحكي الملكْ ... وجسمهِ مع البهائمِ اشتركْ
هـذا دعوهُ ملكَ الطبيعهْ ... اتى فكانت امرهُ مطيعهْ
هذا هو المرءُ العليُّ الشانِ ... على مثال بارئِ الاكوانِ
بناؤهُ بدونِ فنِّ النقشِ ... لا يُشبهُ الكونَ البديعَ الرقشِ
فنُّ البناء قائمٌ بالخطِ ... وداخلٌ هندامهُ في الشرطِ

١) راجع سفر الحكمة (٢:٣١)
٢) سفر ١ ملوك (٢:٣)

فسطحهُ ان لم يُزَن بفتحِ   تمأثِنـا متنٌ بغير شرحِ
وصَرْحُه تحسبهُ أشباحـا   جامدةً فاقدةً ارواحـا
ان لم تَقُم فيهِ التماثيل يُرى   كالارض إنْ حرَمها اللهُ الورى
او كالسماء بَرِحَتهـا الشُهبُ   او كأس راحٍ لم يزنها الحَبَبُ
اوسِلْكِ تبرٍ لم يُحَلَّ بالدُرَرْ   او مزنةٍ ضَنَّت علينـا بالمطرْ
أَجَلْ اذا القصرُ خلا من دميةٍ   تخالهُ جوًّا خلا من ديمةٍ
او بقعةً قد ذبلتْ ازهارُهـا   وخسرتْ اثمارَها اشجارُهـا
وغادرت اطيارُهـا الاوكارا   لمَّا غدت اريافُها قفـارَا
لا شيءَ فيهـا يبهج النواظرَا   ويُثلِجُ الاسماعَ والخواطرَا
والمرْ لا يبعثُـهُ على التقى   سوى شميمـهِ لزنبقِ النقَا
وَحذجهِ التمثالَ بالابصـار   يُذكرهُ فضـائل الابرارِ
وسمعهِ الاشعارَ في الاسحارِ   تشدُو بها الرهبانُ في الاديارِ
تُسبِّحُ الله على الاوتارِ   ونَغَمِ القيثـارِ والمزمارِ
يجثُو امـامَ دمية القديسِ   مقـدِّسًا لربهِ القدُّوسِ
مُستغفرًا من ذنبهِ الكبيرِ   كعبدِ سوءٍ آبقٍ صغيرِ
مُلتمسًا منهُ غياثًا ومددْ   مستشفعًا لهُ الى المولى الصمدْ
وطالما اصبحَ يجثُو راكعًا   امـامَ دميةِ الطَّلاح خاضعًا
بين الكمنجيا واغاني العِشقِ   ورقص ربَّاتِ الهوى والفسْقِ
مصطبحًا مغتبقًا والراحُ   افراحهـا تُعقبهـا اتراحُ
كان يعدُّ السعدَ في ذاك وذا   لكنَّهُ من الشِّباكِ أُنقذا
لدى سماعِ خطبةٍ لواعظٍ   أَلفاظهُ تزري بنثر الجاحظِ

وبمعانيهِ يضاهي الذهبي إمامَ اهل الوعظِ فمَ الخطبِ
في معبدٍ كالكون في زينتهِ وجنَّةِ النعيم في حليتهِ
دماهُ تحكي في بهاء النقشِ أبرارُها تحمدُ ربَّ العرشِ
من الدمى في معبدِ النصارى تجـدنا بلا طِلًا سكارى
ومن سَنى روائها حيارى وفي قيود فنّها اسارى
لكنَّنا لا نعبدُ التمثالا كما هذى جُهّالنا مقالا
بل نتمثّل بها اصحابَها مبجّلين كلّنا اربابَهـا
الشّافعين عند مُبدي النفسِ لنا وذا لهمْ بدا كالشّمسِ
فعَمهوا بصيرةً والبصرُ غشيَهُ عشاوةٌ او سدَرُ
والعُمْيُ اعداءٌ لضوء البدرِ والجهـلُ مدعاةٌ لكلِّ شرِّ
ومن يكن في البُطْل والغوايهْ يظنُّ انَّ زعمهُ هدايهْ
ومن غدا محترمَ الدرايه لهُ يُخَيَّلُ بلوغُ الغايهْ
من الصَّلاح بل بُلوغُ الجنّهْ متّبعًا ما وضعتهُ السنّهْ
بدُونِ ان يَقرأ منـه النّاظرْ ويطربَ السّمع ويُجلَى الخاطرْ
بدُميةٍ او صورةٍ او نغمِ تدعوهُ للخشُوعِ بل للندمِ
كأنهُ قد عَدِمَ الشُّعورَا وفي الحيوة سكنَ القبورَا
بل القبورُ تقتضي ان تُنصَبَا فيها تماثيل البها لتُعجِبا
هذا جناهُ الخوفُ من عبادَهْ لوثنٍ كانتْ لهُ السيـادهْ
في غابرِ الاحقاب والدهور وبالمسيح كان عصرُ النور
حتى لوِ النقّاشُ رامَ صُنعَا لدميةِ الله لجاءَ بِدعَا
نحتَهـا شيخًا وقارًا بارعا جلالهُ للعين يبدو رائعَا

لا يدعي بذاك انَّ البـاري مجسَّمٌ كصنمِ الفخَّـارِ
لكنني لا أرتابي ان تُصنعَا لعلَّ ذا سذاجةٍ ان يخدعَا
بدُميـةِ المسيحِ والعذراء لنا غِنىً عنها بلا مراء

الرسم

وانما النحتُ بلا تصويرِ تُعوزهُ براعـة التحبيرِ
ان رامَ تمثيلًا لصنع الخالقِ فدونهُ يحولُ ألفُ عائقِ
هيهـاتِ أن يُمثِّلَ الالوانا وينقـلَ الانوارَ والافنانا
وينظمَ الاضواء والافيـاء ويرسمَ الخضراء والغَبراء
فسدَّ فنُّ الرسمِ هذي الثُلمهْ لذاكَ للنحتِ غدا تتمَّهْ
وهو الذي قد فازَ في السباقِ ان شُبِّهَ الإثنانِ بالعتاقِ
فرسَمَ الروضَ الاريضَ والفلكْ واللهَ مَنْ للجلدِ الاسمى سَمَكْ
وآدمَ الجدَّ وحوَّا والملَكْ ومَن بكبرٍ وعتوٍّ قد هلكْ
مصوِّرًا جنَّةَ عدنٍ والسما حتى بدا الحسنُ بهِ مجسَّما
مميِّزًا بين البها والقبحِ وليس نَعبُ طائرٍ كصَدْحِ
في صورةِ الملاكِ والشيطانِ وطلعةِ النسناسِ والانسانِ
وهو الذي يُقرِّبُ البعيـدَا ويهبُ الاشيا بهَا جديدَا
اذ يَنفثُ المرءُ بها من نَفْسِهْ منوِّرًا ظلمتهـا بقَبَسِهْ
مجرِّدًا احياءَها عن رِجسها وباعثًا امواتها من رمسها
يعيدها لا قاصدًا تمثيلها بعينهـا بل قاصدًا تجميلهـا
منتحيًا بلبِّـهِ الجلالا محتـذيًا لربهِ مثـالا
منتحلًا بوضعهِ مقالـهْ محاكيًا بصنعـهِ فَعالَهْ

مسافرًا لعالَم الاذهانِ　　في نقلهِ مشاهدَ الاعيانِ
مقتديًا بالمُنشِئ البديعِ　　في رسمهِ لكونهِ البديعِ
ذاكَ الذي يقدرُ أنْ يبتدعا　　عوالمًا تكونُ نوعًا ابدعا
لا صحّةٌ لقولهم: لن يُمكنا　　باري الورى أبدعُ مما كوّنا (١
لكنْ هذا الكونَ كالقيثارِ　　مهندَمٌ مدوزَنُ الاوتارِ
اشياؤهُ شجيّةُ الرّناء　　هيآتها بهيّةُ الرُّؤاء
منشُورةٌ في عالمٍ عظيمِ　　ينظمها الراسمُ في رقيمِ
صورها مطبوعةٌ في حسّهِ　　كانهُ مرآتها بنفسهِ
يزيدها وسامةً من عندهٔ　　مخترعًا مُثلَها بجهدهٔ (٢
خياله يُكسبها كمالا　　فتصبحُ الاشياء ارق حالا
اذ تجمعُ المحاسنُ المختلفهْ　　على النسيجِ فترى مؤتلفهْ
والروحُ يحييها فتغدو راحا　　تُسكرنا ولا ترى أقداحا
بل يغتدي الجمادُ حيًّا ناطقا　　بالرسم والداجي يعودُ شارقا
وورقُ الاشجار تمسي لُسُنا　　كأنها الوُرْقُ تُجيدُ اللحنا
هذا هو الرسمُ وما المصوّرُ　　سوى الذي بفكرهِ يبتكرُ
ويبتغي بصنعهِ الصلاحا　　ان صوّرَ القباحَ والملاحا
ان صوّرَ الشيطان يبدو اشنعا　　لأن كلَّ الشرّ فيهِ اجتمعا
وصوّرَ الملاكَ يبدو أسنعا　　لأنّ كل الخيرِ فيهِ انطبعا
وصوّرَ الكهلَ ترى المهابهْ　　تشملهُ حتى علتْ ثيابه

١) راجع حاشية مقدمة كتابي المعروف « بالنجوى » ق ١ ف ٣ ص ٥٢
٢) طالع قول الكاتب الفرنسوي دِلاماي المثبت في مقدمة النجوى ق ١ ف ٤ ص ٢٦

وصوَرُ المرأةَ تُلفِي الطهرا · من بُردها الاسنى يفوح عطرَا
وصورَ الطفـل ترى الملاحهْ · في ثغره بل كلهُ صبـاحهْ
ذي صورةٌ للاسرةِ العُلوِيَهْ · تُبصرهـا في البيعة القدسيَهْ
ذي يوسفُ الابرُّ والبتولْ · والحملُ الفادي ابنُها الجميـلُ
ناداكمُ هُبّوا ايا نيامُ · وأقبلوا اليَّ لن تُضاموا
ضعوا عن الرقاب ذاكَ النيرا · في بيعتي تلقونَ حقًّا نورَا
يريحكم من العنـاء والنصبْ · وعندهُ تلقونَ غاياتِ الاربْ
بل يجدُ المجرَّبُ الاثيمُ · مواهبًا يُخزى بهـا الرجيمُ
يَسرهُ بها الملاكُ الحارسُ · من كلَّ سرٍّ هو منهُ قابسُ
في بيعةٍ كانها العلياءْ · بوشيها او روضةٌ غنَّاءْ
بل تسحبُ البيعةُ في زخرفها · على الدراري سَنَى مُطرَفها
فبهجةَ الدنيا حوتْ في صحنها · والفلكَ الاسمى علتْ في حسنها
وسبّحتْ بحمدِ ربِّ الفلقِ · اجوائُهـا في شفقٍ وغسَقِ
والسُرُجُ تحتَ قبةِ الكنيسهْ · قد مثَّلتْ انوارهُ القدوسهْ
وكل جوقٍ فوقَ جوقٍ قد سما · كالملإِ الاعلى وسكَّان السما

(لهُ بقية)

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الى الجش

في ٢٦ من شهر ايلول اقرأنا الوداع على اهل الجش وعدنا الى عينبل ثمَّ استأنفنا المسير صباح اليوم الثاني الى الجش فواكبتنا شرذمة من الفرسان حتى دخلنا سهلًا واسعًا

بقرب يارون فاخذ مواكبونا يتجولون في تلك الفلاة على صهوات خيلهم تعدو بهم الجياد كانهم الرياح سرعةً فتلتهم الارض التهاماً وكانوا يشالون العاب الجريد بخفة غريبة وحذق يُقضى منهُ العجب

وكان اهل يارون خرجوا للقاء سيادة المطران فشكر لهم تلطفهم لكنهُ لم يعرج على قريتهم لانهُ كان زارهم مدة اقامتهِ في عينبل • ويارون هذه جنوبي عينبل كانت من جملة مدن سبط نفتالي تُدعى في سفر يشوع (١٩: ٣٨) يَرْؤُون وموقعها على اكمة جميلة وفيها من الاثار ما يدلّ على قدمها من جملتها صهاريج ومدافن منقورة في الصخر ومنها كتابة يونانيَّة قديمة تشهد على انَّ هناك وُجد هيكل للوثنيين • وآثار ذلك الهيكل الذي حوَّله النصارى الى كنيسة على عهد الروم لا تزال مبثوثة في انحاء القرية التي يبلغ عدد اهلها نحو ٦٠٠ نصفهم مسلمون والنصف الاخر روم ملكيون

ثمَّ انحدرنا من هناك الى واد عميق فيهِ عين ماء زلال شربنا منها واخذنا عندها قليلًا من الراحة ثمَّ توقلنا الاكمة القائمة عليها قرية الجش فكان مسيرنا في طريق خطرة لانَّ تربتها من الصخر الطباشيري المعروف بالحُوَّارى يصعب فيها العبور عند انهيـال الامطـار في مثل هذا الفصل • ولمَّا صرنا في جوار القرية خفَّ اهلها للقائنا فهزجوا وترَّحبوا كمالوف عادتهم ومكثنا في الجش الى اليوم الثاني من تشرين الاول

الجش قرية كبيرة تابعة لقائمقاميَّة صفد تعلو عن البحر ٨٠٩ امتار بنيف موقعها في الشمال الغربي من صفد وبالقرب من جبل الجرمق يفصل بينه وبينهـا جنوباً سهلٌ فيهِ قرية الصفصاف التي تُدعى في التلمود صفصوفا • وفي شمال الجش قرية قارا وفي شرقيها الشمالي واد عميق ذو مياه غزيرة وكذلك في غربيها سهل ثم وادٍ آخر من ورائهِ قريتـا كفر برعم وسعسع • واهـل الجش اكثرهم المسلمون ثمَّ الروم الكاثوليك ثمَّ الموارنة وعددهم ٤٤٥ وفي الجش كنيسة للروم الكاثوليك مبنيَّة على انقـاض حصن قديم وللموارنة ايضاً كنيسة • وفي هذه القرية مدرستـان يديرها الاب داود الخوري الالماني رئيس دير الطابغة بقرب بحيرة طبريَّة

والجش كانت قديمًا مدينة حصينة كان في اعلاها قلعة ذات سور يحدق بها لم تزل بقاياهُ منظورة الى اواسط القرن السابق وفي مقامها بُنيت كنيسة الروم الكاثوليك • ويرتقي تاريخ الجش الى عهد بني اسرائيل قيل انها أحلب المذكورة في سفر القضـاة

(١:٣١) في جملة املاك سبط اشير. وكان الربانيون يدعونها باسم «جوش حلب» لشارة الى خصبها ومعاصر زيتها الفاخر ثم عرفت في ايام اليونان باسم جسكالا . وقد لعبت الجش دورًا مهمًا في ايام الرومان لمّا زحف وسبسيان وابنهُ طيطوس على اليهودية. وكان المؤرخ يوسيفوس اليهودي متوليًا عليها اذ ذاك فرمّمها وزادها حصانةً لكنّ الرومان فتحوها وألقوا بكرمهم قلب صاحبها فانحاز الى دولتهم وكتب تاريخ اورشليم وتفاصيل الحرب اليهوديّة التي بها أنتهت دولة بني اسرائيل

وفي الجشّ آثار عديدة بعضها من بناء اليهود منها بقايا كنيسين قديمين لهم. وقد وجد الالمان في بعثتهم الاخيرة في الوادي الواقع شرقي شمالي الجش وعلى مقربة من عين الماء التي هناك في محلّ يدعى المخسوفة اثار معبد يهودي فاحتفروا حتى وجدوا اساسهُ ورسومهُ بهيئتها تامًا . وكذلك اكتشفوا بعض النقوش القديمة من جملتها رسم النسر الرومانيّ. وكان رينان سابقًا وقف هناك على كتابة فيها اسم مشيّد هذا البناء وهو يدعى يشوع ابن ناحوم. ثم تراكم الردم هناك فطُمرت الكتابة حتى استخرجها المهندسون الالمان موخرًا. ويظهر من هندسة هذا الجامع ان اليهود في عهد اليونان والرومان فضّلوا طرز اولئك الامم في ابنيتهم كما انهم لم يانفوا ان يستعيروا منهم بعض النقوش والتصاوير الشائعة عندهم

وفي الجشّ غير ذلك من الاثار وخصوصًا المدافن القديمة التي توفرت في انحائها واكثرها اليوم قد سُدّ او أُهمل فخرب

وبقينا في الجشّ ايامًا مع سيادتهِ وقد وفّقه الله الى اعادة الصلح والسلام بين اهلها الموارنة وكانت الضغائن تمكنت في قلوبهم وانقسموا الى قسمين لسبب قتيل اغتالهُ البعض منهم. وكان الشر قد تفاقم فلمّا حلّ سيادته بينهم اندمل الكلم واصطلح القوم وانقادوا الى اوامر راعيهم

واني ارى في هذه النسبة ان اذكر هنا العادات التي كانت جارية قديمًا بين اهل بلاد بشارة في مثل هذه الحوادث. ولعلهم اخذوها اهل البادية المجاورين لهم

اذا قُتل رجل من تلك البلاد ثمّ رضي القوم بالاصطلاح وابطال العداوة يوجه اهل القاتل الى اهل القتيل وفدًا من الاوجه ليقرروا امر الصلح والدية فيعيّن هؤلاء مدة معيّنة تُسمى عطوة بها يحجبون اعتداءهم عن اهل القاتل بحيث في خلالها

تتقرر الدية وهذه المدة يعطى مقابلها مبلغاً من المال من الف الى الفي غرش. ثم تتقرر مواجهة ثانية لعقد الصلح ويذهب وفد لهذا الغرض يرافقهُ رئيس عائلة القاتل الذي يكون ارسل صحبة هذا الوفد ما يلزم من الضيافة من الارز والقهوة والذبائح والخلع على اهل القتيل. وعند وصولهم يكون الطعام مُعدّ فلا يأكل الوفد قبل ان يعدهم اهل القتيل بحل المشكل واذ ذاك تبدأ المحايرة فيطلب اهل القتيل مبلغاً باهظاً من المال ينوف على المبلغ الذي يكون تقرر مع الوفد الاول فيقبل هذا الوفد الثاني بالمبلغ تماماً وانما يطلب رئيس الوفد كرامةً من اهل القتيل «بماذا تكرموني» فيجيبونهُ بعد اخذ وردّ بأنهم «تركوا لهُ الفي غرش اكراماً لخاطرهِ» واذ ذاك يتقدم افراد الوفد واحداً فواحداً يطلبون ترك شيء اكراماً لهم ايضاً فيفعل اهل القتيل الى ان تصل القيمة الى ما تقررت عليهِ في المواجهة الاولى مع الوفد الاول: ثم يجلسون يتناولون الطعام

وبعد الاكل يؤتى بعصاً طويلة يركزها وجيه اهل القاتل امام باب دار القتيل ويربطها بمنديل من رأسها ويعقد تحت ربطتها عقدة واحدة في المنديل ويتبعهُ على ذلك اهل حمولته او عشيرتهِ فيعقد كل منهم عقدة وحينئذٍ تُنقد الدية من طرش او نقود او عقارات ويُنتخب كفيلان الواحد يدعى كفيل الوفاء والآخر كفيل الدفاء. فكفيل الوفاء يكفل اهل القاتل على ايفاء تمام الدية التي تكون تقسطت الى قسطين او ثلاثة — وكفيل الدفاء يكفل اهل القاتل على سلامة ارواح واموال وحرية اهل القتيل

ثمَّ يحضرون القاتل بين تلك الجماهير من قرية قريبة يكون اختفى فيها الى بيت القتيل يصحبهُ كفيل الوفاء فيحلقون لهُ قطعة من قُرَص شعر راسهِ ليدلوا بذلك على انهم اعتقوهُ ويتقدم اذ ذاك وجيه عائلة القتيل فيفكّ عقدتهُ من المنديل ويتبعهُ باقي اقاربهِ الى ان ينتهي حل كل العقد يشيرون بذلك الى ان الخصومات قد انحلّت وينصرفون بعد ان يخلعوا على اهل القتيل الخلع من الملابس المألوفة عندهم واذا تأخَّر اهل القاتل عن الوفاء. فعلى الكفيل ان يجرد من حمولتهِ واصحابهِ ومن الخارج ليحصل الدية مضاعفاً ويأخذ قسماً خاصاً بهِ وقسماً لاهل القتيل . امَّا اذا جرى تعدٍّ من اهل القاتل فلكفيل الدفاء الحق ان يحصل منهم الدية مضاعفاً

صفد

وفي اليوم الثاني من تشرين الاول قمنا من الجش نريد مدينة صفد فقام معنا حفاوةً بسيادتهِ ثمانون فارساً يمتطون الخيل المطهَّمة وبايديهم المحجن او الجريد وملابسهم على زيّ واحد العقال والشملة. فسرنا في سهلٍ ذي حجارة سود نخرة قذفها بركان قديم ترى آثار عيثهِ في تلك الحرَّة الى بلاد الغور ماراً ببحيرة طبرية. واجتزنا في طريقنا ببركة الجش التي عندها كانت كما يظهر فوهة البركان

ثم مشينا قليلاً فادركنا مزرعة قدّيثا من املاك الخواجا اليـاس افندي البوّاب عضو مجلس ادارة صفد عن المسيحيين. وقدّيثا هذه على ما يُرجَّح هي المدينة التي ذكرها يوسيفوس والربّانيونَ باسم كيرما يحيط بها اراضٍ طيبة التربة لكنَّنـا في هذا الفصل وجدناها قاحلة جرداء لا ينبت فيها سوى الشبرق والعضـاه ولم نجد فيها اثراً للبطيخ الصفدي الذي اطراهُ ابن بيطار وذكر وجودهُ في السهول المجاورة لصفد

ثمَّ ملنا الى الشرق وعرَّجنا الى الجنوب حتى اذا صرنا على مقربة من الاكام الثلثة الواقعة فوقها صفد رأينا كوكبة من الفرسان في مقدمتهم بعض رجال الحكومة السنية قد بادروا لملاقاة الزائر الكريم والسلام عليهِ. فبعد مبادلة عبـارات المجاملة والترحيب استأنفنا المسير نحو المدينة في طريقٍ صعبة المرتقى اشبه باللولب في تعريجاتها حتى بلغنـا باب المدينة واذا باهل صفد خرجوا الى ملاقاتنا زرافات ووحداناً فترجل سيادتهُ وسرنا بمعيَّتهِ في وسط تلك الصفوف المتزاحمة في طرق البلدة الضيِّقة الى كنيسة اخوتنا الروم الكاثوليك اذ ليس للموارنة كنيسة في صفد فصلى قليلاً ثمَّ خطب خطاباً وجيزاً شاكراً للملاقين لطفهم وخرج الى دار جناب اميل افندي راجي مدير التلغراف والبريد فحلَّ عندهُ ضيفاً كريماً فلم يلبث وجوه البلد ان توافدوا ليؤدوا لسيادتهِ مراسيم التحيَّات فردَّ الزيارات للجميع

وكان جلُّ اهتمام سيادتهِ مدَّة اقامتنا في صفد مصروفاً الى الموارنة وهم قليلو العدد وكلهم من صيداء من نخبة اهلها قدموا صفد لاشغالهم ويخدمون الحكومة السنيَّـة بامانة نخصُّ منهم بالذكر جناب مضيفنا المعروف بحسن سجاياه وكرم طبـاعهِ وهو صهر الياس افندي البواب احد وجوه صفد وافاضلها ونذكر بالثنـاء ايضاً الافنديَّة آل غنُّور المتقدمين بخدمة الحكومة السنية وكلهم ساعدونا على ارتاج باب الفتنة بين المتعادين

من اهل الجش وكان قسمٌ منهم في صفد هاجروا بلدهم بسبب تلك الفتن فعاد التحابُ بين الجميع وانتهى الخصام

وممن يسرُّنا ذكرهم بالخير اسرة كريّة لها الايادي البيض على نصارى صفد والقرى المجاورة اعني قنصل دولة النمسا النخيمة ووكيل قنصليّة بريطانيا العظمى المسيو لاديسلاس احد المتخرجين في مدرسة عينطورا العامرة. فانهُ في طول مدّة اقامتنا في صفد لم يدَّخر وسعاً في اكرام سيادة المطران مظهراً من التحفّي بشخصه الكريم ما يندر مثلهُ. ودعاهُ للاحتفال بالذبيحة الالهيّة في معبد داره الخاص فحضر كثيرون تلك الرتبة الشائقة. وقد لقينا من جنابه رجلاً راسخ القدم في الاداب محبّاً للعلوم باحثاً للاثار القديمة ومن فضلهِ ما تكرَّم علينا بهِ من الرسوم التي اخذها بالتصوير الشمسي

صفد (ويقال لها صفت) ورد ذكرها في سفر طوبيا (١:١) فقال «كان طوبيا وهو من سبط ومدينة نفتالي التي في الجليل الاعلى فوق نحشون وراء الطريق الآخذ غرباً والى يسارها مدينة صفت» ويرى بعض الجوّالة ان مدينة طوبيا على الارجح كانت في المحلّ المدعو في ايامنا عين رشاده جنوبي المدينة الحالية رأيناه عن بعيد من محل يدعى الرجوم بالقرب من بناية لسيدة اميركيّة تدعى مس فورت ويكشف هذا المحل على اجمل مشاهد فلسطين كبحيرة طبرية وجبال حوران ومغاور دبلا الشهيرة في تاريخ يوسيفوس وقرون حطين. وصفد الحاليّة تعلو عن البحر نحواً من ٩٠٠ متر مبنيّة على ثلاث اكام حول الاكمة المبنيّة عليها القلعة وتنقسم الى خمسة احياء وسكانها من المسلمين واليهود وهم العدد الاوفر ثمَّ النصارى وهم قليلون. اما قلعة صفد الشهيرة فقد هُدمت بزلزال شهير سنة ١٨٣٧ وهلك اذ ذاك من السكان نحو من ٥٠٠٠ نسمة وما تبقى من حجارة القلعة استخدمه السكان للابنية وهذه القلعة قديمة بلا مراء لصلاحية مركزها للدفاع قد اخبرنا يوسيفوس بانهُ حصَّن او رمَّم هذه القلعة مع غيرها من الحصون بجربه ضد الرومان ودعاها كتبة القرون الوسطى Le Saphet وهيئتها بيضوية الشكل طولها ٤٠٠ متر بعرض ٩٥ م وكان يرى فيها بعض بنايات حتى سنة ١٨٦٣

وصفد هي مدينة اليهود والمعظمة بعد خراب اورشليم ولعلماء التلمود ذكرٌ وآثار فيها وسكانها اليهود الان مهاجرون اليها من المجر وبلاد المسكوب على الاكثر وقد روى صموئيل بن شمشون الذي زار هذه المدينة سنة ١٢٠٠ ان عدد اليهود في صفد كان

عظيماً اذ ذاك . وهم اليوم ايضاً كثيرون . ومما جرى لنا انا كنا نتجول في المدينة نهار السبت فوقع نظرنا على زي لم نكن راينا اليهود يلبسونه وهو عمامة يحيط بها ذنب ثعلب وتفرسنا في تلك الوجوه الضئيلة الكالحة عند خروجهم من مجامعهم فسألت بعض الاصدقاء عن هذا الزيّ الغريب فأجاب انهم عمدوا اليه منذ عهد قريب فاتخذوه علامة كرامة وفخر

وقد بلغنا ان سكان صفد من اليهود أَلِفوا خطة لم يالفها غيرهم من جنسهم وهي البطالة وانما حملهم على ذلك ما كان يُرسل اليهم من المساعدات الماليّة من صناديق الجمعيات الخيريّة التي أُقيمت في اوروبا لعضدهم وترى الفقر المدقع سائراً بينهم ومساكنهم اشبهُ بمغاور منها بمساكن لا يدخلها النور والهواء فيسكنون تحت الارض ويخرجون بغتةً من منفذٍ صغير بين بلاط السوق يعلو وجوههم الاصفرار وقد ضرب الهزال اطنابهُ بينهم

اما حالة صفد التجارية فمعروفة فالسوق في كساد ويؤمل التحسين اذا تمّ مشروع مدّ طريق العربات من هذه المدينة حتى بحيرة طبريّة فتكون منهل خير لبلاد صفد وبلاد بشارة والان قد سيّرت السكة الحديدية الحجازية مراكب صغيرة في البحيرة لنقل البضائع الى اطرافها . ثمَّ أُتيح لنا الصعود في هذا النهار نفسهِ الى القلعة التي لم يعد يُرى منها سوى بعض حجارة وبعض ابآر واثار الخندق ومن هنا انكشفت لنا المدينة باحيائها وحاراتها وما جاورها مما اخذ بابصارنا . فحدّقنا نظرنا نحو الشرق فوقع على حارة الاكراد وحارة الجوزة وسكانهما من المسلمين ويتّصل بهذه الحارة الاخيرة للجنوب حارة الصواوين وسكانها من المسلمين ايضاً ثم نظرنا الى الغرب فاذا بحارة الوطى امامنا ويتصل بها من الجنوبي حارة الجامع الاحمر وسكانها من المسلمين

ثم نظرنا حارة النصارى وهي واقعة بين الجامع الاحمر وحارة السوق وحارة السوق هي للشمال الغربي يقطنها اليهود ثمَّ نظرنا الى الشمال الشرقي فاذا بقرية بيريا فكان مجموع حارات صفد سبعة مبنيّة على منعطفات اكام او تلال حول اكمة القلعة التي تكلل المدينة والبنايات مرصوفة حولها (له بقيّة)

سرياني ملكي

وهو يوحنا موديانا مطران ماردين المنوفستي الرهاوي

لحضرة القس اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي

كانت الفرق النصرانيّة التي تقتسم بلاد الشرق منذ القرن الخامس ثلاثاً: الملكيّة وهم اتباع المجمع الخلقيدوني المحافظون على قوانين الكنيسة الكاثوليكيّة وعُرفوا بالملكيين في جهات الشام ومصر وما بين النهرين لزعم خصومهم بأنهم اتبع للملوك منهم للمسيح. ثم النساطرة اشياع نسطور الذين جعلوا للمسيح اقنومين كما لهُ طبيعتان اقنوم الهي واقنوم انساني اتحدا اتحاداً ادبياً مستقلاً فابطلوا بذلك كل سرّ الفداء. ثمّ اليعاقبة الذين تصدّوا للنساطرة في اقوالهم وبالغوا في تقرير لاهوت المسيح الى ان قالوا انّ في المسيح طبيعة واحدة الهيّة كما هو اقنوم واحد

وهذه الفرق بقيت مدّة طويلة في خصام ومعاداة تسعى الواحدة في تنكيس الاخرى فضلاً عن كونها تعدّدت اقسامها فصار لكل فرقة شيعة متباينة وليس تاريخ كنائس الشرق مدّة عشرة اجيال سوى خبر هذه المشاحنات والانقسامات. على ان الكنيسة الكاثوليكيّة كانت تسعى عند سنوح الفرصة ان ترد الضالين وتنشر بينهم العقائد الراهنة التي اثبتها الاباء وقرّرتها المجامع. وكان البعض من تبعة اليعاقبة او النساطرة يرتدّون من وقت الى اخر الى مذهب الروم الملكيين إمّا بعد اطلاعهم على صحة قولهم وامّا فراراً من شرور حلّت بهم عند اهل شيعهم. ومن جملة هؤلاء احد اساقفة ماردين اليعاقبة اسمهُ يوحنا موديانا اي المعترف الذي ورد ذكرهُ في تواريخ القرن الثاني عشر فذكرهُ في تاريخهِ ميخائيل الكبير الذي كان وقتئذٍ بطريركاً على اليعاقبة ونقل ايضاً اخباره ابن العبري في تاريخهِ الكنسي وغيره من اهل ذلك العصر. فاحببنا ان نجمع هنا اقوالهم ونسرد حياة هذا الرجل باختصار فانّ في اخبارهِ ما يطلعنا على بعض احوال تلك الكنائس المنشقّة ويفيدنا علماً عن اسقفٍ نبذ الشيعة اليعقوبيّة ليتبع الكنيسة الكاثوليكيّة التي كان يمثلها الملكيّون في الشرق حتى بعد انفصال فوطيوس عنها اذ لم يتم ذلك الانشقاق الّا على عهد ميخائيل كيرولاريوس

وُلد موديانا (المعترف) في اواسط القرن الثاني عشر وانقطع منذ حداثته الى جبال الرها المزدانة بالنسّاك والزهاد. وعكف على مطالعة مصنفات كتبة السريان الاقدمين. واحرز من العلوم والاداب نصيباً وافراً. وامتاز خاصّةً بالخبرة بالامور الدنيا وبلاغة النطق وفصاحة الكلام. وكان ممن يوثق بهِ ويُرجع اليهِ في الدعاوي لدى ارباب الحكم

وكان في ذلك العصر البطريرك ميخائيل الكبير (١ مستلماً ازمّة رعاية الامة السريانيَّة اليعقوبيَّة. فتطاول على حقوقهِ تاودورس بن وهبون وكريم بن ماسح الاسقفان اليعقوبيَّان. وحاولا اختلاس البطريركيَّة فحصل بسبب هذه المزاحمة فتن وقلاقل في الشعب كانت نتيجتها انَّ ابن وهبون فاز بمرغوبهِ وبعد ثلاث عشرة سنة لبطريركيَّة ميخائيل ارتسم في ديار بكر بطريركاً دخيلًا بوساطة اربعة مطارنة. وذهب توًّا الى ماردين واستولى على الكرسي البطريركي. فبعث ميخائيل اذا ذاك قوماً الى ماردين فاتوهُ قسراً بابن وهبون الى دير برصوم وحرمهُ جهراً. فلم يرعو ابن وهبون بل ازداد حقداً وكمداً وانقلب راجعاً الى ماردين فالموصل وجدد الشغب والقلق. ثم انطلق اخيراً الى لاون كبير الارمن والى جاثليقهم فرحَّبا بهِ وامرا ان يُنادى بهِ بطريركاً في بلادهما. وما لبث على تلك الحال حتى اخترمتهُ يد المنون في رومي قلعة سنة ١١٩٣ وكان متضلعاً باللغات السريانيَّة واليونانيَّة والعربيَّة والارمنيَّة وخلف مصنفات شتى تشهد بطول باعهِ وحذاقة عقلهِ

اما كريم بن ماسح فنزل الى تكريت محاولًا اختلاس كرسي المفريان فرُدَّ الى الموصل بصفقة خاسر وقشّرهُ اي حرمهُ المفريان غريغوريوس عام ١١٩٢

ولمَّا راى سكان ماردين ما جرى لابن وهبون نهض الذوات منهم واستصحبوا رهباناً من دير الزعفران (٢ ومضوا الى دير برصوم متوسلين الى البطريرك ان يحضر

---

١) ارتقى ميخائيل الكبير الى البطريركيَّة في ١٨ تشرين الاول عام ١١٦٧ وتوفي في ٧ تشرين الثاني عام ١٢٠٠

٢) شيد دير حنانيا المعروف بدير الزعفران سنة ٨١١ مسيحيَّة بهمَّة حنانيا مطران ماردين وكفرتوت الذي رقاه الى مطرانية ماردين عام ٧٩٣ قرياقس بطريرك اليعاقبة — (راجع تاريخ ميخائيل الكبير)

اليهم والّا فيقيم لهم راعياً قانونياً ينظر في امورهم . وانما طلبوا حضوره لاعتمادهم على ما كان قد صرّح به عام ١١٦٧ اذ جعل مقام الكرسي البطريركي رسمياً (١ بماردين بدلًا من آمد

فرحب بهم ميخائيل ولبى نداءهم وانجز رجاءهم تملصاً من ثقل تلك الرعيّة وتعبها . فاوعز اليهم ان يصطفوا من يشاؤون . فوقع اختيارهم على موديانا الرهاوي صاحب الترجمة لانهُ كان مشهورًا بالغيرة ومشهودًا لهُ بالفضل وسعة المعارف . فارسل البطريرك في طلبهِ ورقاه مطرانًا على ماردين ودعاه يوحنا موديانا (٢ وقلده رعايتها بدلًا منهُ . ثمّ زود الرهبان والذوات بالصلوات وشيعهم بالانس والترحاب . وما كاد يظفر بهِ الماردينيون حتى انقشعت عنهم سحابة الغموم وانتعشت افئدتهم لما توسموا فيه من النباهة والذكاء فاظهروا لهُ عواطف الولاء والوداد واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً . اما ابن وهبون وابن ماسح ففي تلك الليلة فرّا هاربين الى الموصل

فاخذ المطران الجديد اذ ذاك يدبر ابرشيتهِ صارفاً الهمة والنشاط في ما يعود الى نجاحهم ونال الحظوى لدى الحكام خاصةً وغدا محبوباً وموقرًا عند القريب والغريب

بيد ان عدوّ الخير اخذ يثير في الاهلين نار الشحناء والبغض عليهِ فقاوموه وناصبوه لاسيما الرهبان منهم . ومما زاد الشرور والاحن انهم نسبوا اليهِ اموراً مستقبحة . فامتعض موديانا ايّ امتعاض وتجرّع من جرّاء ذلك غصص الالام والحسرات وحاول استمالتهم اليه باللطف واللين فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح ثم التمس الذرائع الفعالة ليظهر عليهم ويستمرّ لديهم فلم يتمكن . فكتب آنئذ يخبر البطريرك ويستنصره على اعدائهِ المفعمين غيظاً وسخطاً عليهِ . فجعل ميخائيل يدافع عن المطران لكنّ الشرّ لم يزل

---

١) قلنا رسمياً لان دير الزعفران كان مركز ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة منذ عام ١٠٣٤ حتى سنة ١٠٤٤ ولا يخفى ان البطاركة الذين خلفوا ميخائيل لم يجروا على تلك السنّة (راجع تاريخ ابن العبري الكنسي)

٢) هو غير يوحنا موديانا الذي جرت حفلة رسامتهِ بطريركاً يعقوبياً في ١٧ شباط ١١٢٩ في كنيسة الافرنج (الكاثليك) بالرها بحضور الامير جوسلين وتوفي البطريرك المذكور عام ١١٣٧ وخلفهُ اثناسيوس بن قطره سالف ميخائيل الكبير (راجع ابن العبري)

يتفاقم حتى اضطرّ موديانا الى مزايلة رعيته متوخياً اطفاء شرارة الفتن فرجع الى خلوته واقام في بيت ابويه بالرها . فتخضخضت من ثمّ حال الابرشيّة وتشعّبت الاهالي واستفحل الفساد . فراى حينئذٍ البطريرك ان يقسم الرعيث ووكل الرعاية الى ابرهيم اسقف الخابور ريثما تهدأ الامور وتنجلي الحقائق

امّا الماردينيون فلم يهدأ اضطرابهم بل طفقوا يتذمرون على البطريرك ويلومونهُ في تدبيره لهم . فذهب ثانية اليه نخبة منهم قائلين : « انا نستثقل الذهاب والاياب يا ابانا . وانك لتعلم اهميّة رعيّة ماردين من حيث ازدياد عدد الطائفة والرهبان والاديرة والارزاق . . . فاليك نتوسل ان ترثي لحالنا وتجبر انكسارنا . وليس لنا غنى عنك . على انا كلما احتجنا الى رسامة او قضاء دعوى تعنّينا مشقة السفر فمددنا اليك . فحتى متى نلبث هكذا » . فتاوّه البطريرك وهتف قائلاً : « لقد ضاق ذرعي وكلّت عزائمي ممّا دهمني من النوائب والاهوال . وكنت اودّ لو اتمكن من المكث لديكم لعلمي الوكيد بان ماردين محتاجة الى راعٍ لا يغيب عنها قطّ . بيد ان اثقال الشيخوخة وامراضها قد انهكت قواي وحصلتُ في خطر المنون . وليس عندي اعزّ من المفريان غريغوريوس ابن اخي فاليهِ اوكل اموركم ماديًا وادبيًا . وبهِ أنيط تدبيركم روحيًا وزمنيًا » . ثم انهُ رقم رسالة عامّة بهذا الصدد بخط يده في تشرين الاول عام ١١٩٧ ووقّع عليها سبعة اساقفة . وفيها قرّر كذلك ان تكون ماردين ودير الزعفران ودير مار ديط ودنيسر وتل قبب وما يجاورها تحت سلطة المفريان ابّان حياته فقط . وبعد وفاتهِ (اي المفريان) تعود تحت رئاسة البطريرك

وفي تلك الغضون كان يوحنا موديانا مقيماً في الرها كما قدّمنا مثابرًا على مطالعة الكتب . فجرت منازعة بينه وبين اثناسيوس دنحا اسقف الرها اليعقوبي (١ فوشي بهِ لدى البطريرك الذي بعث اليهِ كتابًا يأمرهُ بمزايلة وطنهِ والنزوح عن جبلها

فغادر موديانا آنئذ الرها وتوجه الى ملطية فصادفه اليونانيّون وهم الملكيون القائلون بالطبيعتين والمشيئتين فارسلوه الى القسطنطينيّة فاعتنق مذهبهم واصبح خلقيدونيًا . ولمّا توسم بطريرك الروم نجابته وذكاءه قلده رعاية ابرشيّة ميافارقين

١) سقّف على الرها عام ١١٦٩